الطمأنينة

سيكولوجية التوافق والإستقرار
والثبات النفسى عند
صوفية الإسلام

دكتور

محي الدين عبد الحميد طاهر

كلية الآداب ببنها

١٩٩٣

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
شارع محمد فريد - القاهرة
رقم الإيداع ٥٥٤٢ / ١٩٩٣ م

الإهـــداء

إلى زوجتى

التى ضحت فى سبيل الأسرة ، ومن أجل تربية الأبنـاء بكـل ما استطاعت ، حتى وصلوا إلى ما يريدون .

وقد واصلت كفاحها مـع ابنـى الراحـل إيهـاب ، حتـى التحـق بالدراسـات العليـا بكليـة البنـات بجامعـة عيـن شـمس قســم الفلسفة، ثم استشهد .

أدخله الله فسيح جناته ،،،

دكتـــور

محي الدين عبد الحميد طاهر


المقدمة

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ،

وبعد

فإن موضوع هذا البحث ، الطمانينة ، سيكولوجية التوافق والإستقرار والثبات النفسى عند صوفية الإسلام - وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية ، إذ أنه لم يلق الدراسة الكافية من الباحثين فى مجال التصوف الإسلامى .

ولقد عرضت أولا ، لمعنى مصطلح المطانينة فى اللغة العربية ، وفى القرآن الكريم ، والتطور التاريخى لهذا المطلح عند صوفية الإسلام .

ثم أوضحت ثانيا ، المطانينه ومجاهدة النفسى فعرضت للعلاقة اخلاقيا بين المطانينة والنفس الإنسانية ، ثم أوضحت الصلة بين المطانينة والأخلاق المحمودة .

ثم عكفت ثالثا ، على الارتباط بين الطمانينة .والرياضات الروحية العملية ، وأوضحت ارتباط الطمانينة بالذكر ، والعزلة ، والسماع .

ثم أظهرت رابعا ، ارتباط المطانينة بالمقامات والأحوال ، فعرضت للصلة بين الطمانينة والمقامات ، ثم العلاقة بين الطمانينة والأحوال .

أما خامسا ، فقد أوضحت ارتباط الطمانينة بالمعرفة ، فعرضت للعلاقة بين الطمانينة ومهج المعرفة ، ثم للصلة بين الطمانينة وأداة المعرفة ، وأخيرا لأرتباط الطمانينة بموضوع المعرفة .ثم انهيت البحث بخاتمة تلخص أهم النتائج التى توصلنا إليها.

وأرجو أن أكون قد وفقت فى تقديم هذه الفكرة فى صورة واضحة ومتكاملة ، يتضح من خلالها أراء الصوفية فى هذا الشان وأراء علماء النفس المحدثين والمعاصرين فى هذا الشان ، والله الموفق ،

دكتور

محي الدين عبد الحميد طاهر

أولاً
معنى مصطلح
العلمانية

أولاً

معنى مصطلح

الطمأنينة

(أ) تمهيد

(ب) معنى الطمانينة فى اللغة العربية

(جـ) معنى الطمانينة فى القرآن الكريم

(د) معنى الطمانينة عند صوفية الإسلام

أولاً

معنى مصطلح الطمأنينة

تمهيد :

رأينا أن نوضح فى هذا الفصل ، معنى مصطلح . الطمأنينة فى اللغة العربية ، وفى القرآن الكريم ، بالإضافة إلى المعانى التى أتخذها هذا المصطلح فى تطوره الفكرى عند صوفية الإسلام .

(أ) معنى الطمأنينة فى اللغة العربية :

الطمأنينة فى اللغة العربية ، تعنى السكينة (١) وقد تعنى السكينة ، المهابة والرزانة والوقار (٢) أما الوقار فيعنى الحلم وأما الحلم فيعنى الأناة (٣) .

وقد يكون معنى الطمأنينة كذلك ، السكون ، وهو الثبات وعدم الحركة (٤) وبالجملة ، إن الطمأنينة تعنى السكينة

---

(١) اطمأن الرجل اطمئناناً وطمأنينة : أى سكن ، انظر مختار الصحاح ، مادة طمن ، واطمأن القلب : سكن ولم يقلق ، والإسم الطمأنينة ، انظر المصباح المنير ، مادة طمأن .

(٢) انظر المصباح المنير ، مادة سكن .

(٣) ارجع إلى المصباح المنير ، مادة وقر .

(٤) سكن المتحرك سكونا : ذهبت حركته ، انظر المصباح المنير ، مادة سكن .

والمهابة والرزانة والوقار ، وقد يكون معناها أيضا السكون وهو الثبات وعدم الحركة .

(ب) معنى الطمأنينة فى القرآن الكريم:

وردت لفظة الطمأنينة فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة، فمن الآيات التى وردت فيها كلمة الطمأنينة فى الزمن الماضى ، اطمأن ، واطمأننتم ، وأطمأنوا ، قوله تعالى :(فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والأخرة ، ذلك هو الخسران المبين)(١) .

أى أنه ، من الناس صنف لم يتمكن الإيمان من قلبه ، بل هو مزعزع العقيدة ، مضطرب الإيمان ، تتحكم مصالحه فى إيمانه ، إن أصابه خير فرح واطمأن قلبه به، وإن أصابته شدة فى نفسه أو ماله أو ولده اضطرب وقلق وحزن ، وحكم هذا الصنف من الناس أنه خسر الراحة والاطمئنان النفسى وهدوء البال .

ومن الآيات التى وردت فيها لفظة الطمأنينة فى هذا الشأن أيضا ، قوله تعالى :(فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة (٢)

---

(١) سورة الحج ، الآية ١١ .

(٢) سورة النساء ، الأية ١٠٣ .

أى : لا تنسوا ذكر الله دائما ، فـاذكروه قـائمين ، واذكـروه وأنتم جالسون أو قائمون ؛ فإن ذكر الله تعالى يثبت القلوب، وبه اطمئنانها ، فإذا ذهب الخوف ، وجاء الاطمئنان ، فأدوا الصـلاة كاملـة ؛ فـإن الصـلاة قـد فرضـت علــى المؤمنيـن موقوته بأوقاتها ويقول الله تعالى كذلك فــى سـورة يونـس : (إن الذيـن لا يرجـون لقاءنـا ، ورضـوا بالحيـاة الدنيـا ، واطمأنوا بها ، والذين عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (١) .

وهـى تعنـى أن الذيـن لا يؤمنـون بـالبعث ، ولقـاء اللــه تعـالى يـوم القيامــة ، واعتقـدوا واهميـن أن الحيـاة الدنيـا منتهاهم، وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملـوا لمـا بعدهم هؤلاء مصيرهم العقاب ، جزاء ما كسبت أيديهم من الأفعال المذمومة .

ومن الآيات التى وردت فيها كلمة الطمأنينة فى الزمـن المضارع ، بمعنى يطمئن وتطمئـن ، الآيـات الآتيـة بقولـه تعالى فى سورة آل عمران:(وما جعله الله إلا بشرى لكـم ، ولتطمئن قلوبكم به)(٢) .

---

(١) سورة يونس ، الآيتين ٧ ، ٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٢٦ .

وهذا يعنى أن الله تعالى ما جعل الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ، ولتسكن به قلوبكم ، وليس النصر إلا من عند الله الذى يضع الإشياء فى مواضعها .

ويقول تعالى كذلك فى سورة المائدة : (وقالوا نريد أن نـأكل منها وتطمئن قلوبنا)(١) .

فقد قال أتباع عيسى له ، هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاما ،

على مائدة من السماء ؟ فقال لهم عيسى إن كنتم تؤمنون بالله ، فخافوه وأطيعوه ، ولا تطلبوا حججا غير التى قدمتها، قالوا : نريد أن نأكل هذا الطعام ، لتطمئن قلوبنا بما نؤمن، من قدرة الله عن معاينة ، أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها .

ويقول تعالى أيضا :(الذين آمنوا وتطمن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٢) .

ومعنى هذه الآية ، إن الذين يرجعون إلى الله تعالى دائما ، ويقبلون على الخير ، هم الذين آمنوا وهم الذين

---

(١) سورة المائدة ، الأية ١١٣ .
(٢) سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

تطمئن قلوبهم وتسكن عند ذكر الله تعالى ، بالقرآن وغيره، فإن القلوب لا تطمئن إلا بذكر عظمة الله وقدرته .

ويقول تعالى كذلك (قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أو لم تؤمن قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى)(١)

فقد قال إبراهيم ، رب أرنى كيفية إحياء الموتى ، فسأله الله تعالى عن إيمانه بإحياء الموتى ، فأجاب إبراهيم بما يزيل الشك عن إيمانه ، فقال : أو لم تؤمن بإحياء الموتى ، قال : أنى آمنت، ولكن طلبت ذلك ، ليزداد أطمئنان قلبى .

٣- ومن الأيات التى وردت فيها كلمة الطمأنينة ، على سبيل الصفة ، مثل (مطمئن ، ومطمئنة ، ومطمئنين) ، قوله تعالى : (من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)(٢) أى : أن الله يغضب على من ينطق بكلمة الكفر ، بعد أن يكون قد آمن بالله ورسوله وبالإسلام دينا ، ويستثنى من ذلك الذين يكرهوا على هذا القول ، ولكن قلبه ساكنا مطمئنا بالإيمان ، فإنه لا يعاقب على ذلك ، لأن ذلك يخرج عن إرادته.

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠.

(٢) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .

ويقول تعالى أيضا : (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) (١) .
وهذه الآية نزلت فى حق مشركى مكة ، الذين لم يذعنوا للحق ، حين جائهم الوحى مقرونا بالمعجزات ، زعما منهم أن الله تعالى لا يبعث رسله من البشر ، بل من الملائكة فقال تعالى ردا عليهم أنه لو كان فى الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيها كالآدميين، مطمئنين مستقرين فيها ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا من الرسل، ولكن الملائكة ليسوا كالبشر .
ويقول تعالى كذلك : (وضرب الله مثلا ، قرية كانت آمنة مطمئنة)(٢) .

فقد جعل سبحانه لأهل مكة ، مثلا يعتبرون به ، وهو قصة قرية من القرى ، كان أهلها فى أمن من العدو ، وطمأنينة من ضيق العيش ، يأتيهم رزقهم واسعا من كل جانب ، إلا أنهم ذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والطمأنينة ، وذلك بسبب تماديهم فى الكفر .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٩٥ .
(٢) سورة النحل آية ١١٢ .

ويقول الله تعالى فى هذا الصدد : (يا أيتها النفس المطمئنة، أرجعى إلى ربك راضية مرضية ، فأدخلى فى عبادى ، وأدخلى جنتى) (١).

وفى هذه الآية ، يخاطب الله النفس المطمئنة بالحق ، بأن تعود إلى ربها راضية بما أوتيت من النعم ، وبما قدمت من عمل صالح .

وبالجملة ، فإن معنى الطمأنينة فى القرآن الكريم ، يقترب من معناها فى اللغة العربية .

(جـ) معنى الطمأنينة عند صوفية الإسلام:

يعرف بعض الصوفية ، الطمأنينة بأنها سكون ، يقويه أمن، ناشئ من يقين قريب إلى العيان ، مقرون بدوام روح الأنس بالحق (٢).

فيرى سهل بن عبد الله التسترى (المتوفى عام ٢٨٣هـ) أن المطمأنينة تعنى سكون قلب العبد إلى الله تعالى ، فهو يقول فى هذا الشأن :"إذا سكن قلب العبد إلى مولاه ،

---

(١) سورة الفجر آية ٢٧ .

(٢). راجع ، أحمد ضياء الدين الكمشخانوى ، جامع الأصول فى الأولياء وأنواعهم ، مطبعة الجمالية ، القاهرة عام ١٣٢٨ هـ ، ص ٣٥٥ .

واطمأن إليه ، قويت حال العبد ، فإذا قويت ، أنس بالعبد كل شئ " (١)

كذلك يعرف ابن القيم، الطمأنينة بأنها سكون القلب إلى الشئ،وعدم اضطرابه وقلقه فالقلب مثلا يطمئن إلى الصدق، ويرتاب ويضطرب ويقلق من الكذب ، وكذلك يطمئن إلى البر ويسكن إليه ، ويزول عنه اضطرابه وقلقه(٢)

وبالجملة ، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ، وإنه لا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين فى القلب إلا عن طريق الذكر بقراءة القرآن وتدبره وفهمه . أما اضطراب القلب وقلقه ، فيكون ناتجا من شكه وارتيابه .

وهكذا يكون القرآن هو المحصل لليقين ، والمانع للشكوك والظنون والأوهام ، فلا تطمئن القلوب إلا به .

خلاصة القول ، إن بعض الصوفية يعبرون عن الطمأنينة بأنها سكون القلب وراحته ، وهى لا تكون إلا فى نهاية الطريق الصوفى .

---

(١) أبو نصر السراج الطوسى ، اللمع فى التصوف ، مكتبة المثنى ببغداد، عام ١٩٦٠ م ، ص ٩٨ .

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة عام ١٩٥٦ ، ص ١٢ .

وليس من شك فى أن الصوفية يعانون فى بداية طريقهم صراعا نفسيا ، يصاحبه الحزن والقلق ، أما فى نهاية الطريق ، فهم يتحققون بهدوء القلب ، نتيجه الاستقرار والإيمان بالله فى القلب .

الطمأنينة ، خاصية مميزة لكل أنواع التصوف ، ذلك أن التصوف يهدف إلى قهر دواعى شهوات البدن أو ضبطها ، وإحداث نوع من التوافق النفسى عند الصوفى ، وهذا من شأنه أن يجعل الصوفى ، متحررا من كل مخاوفه، وشاعرا براحة نفسية عميقة ، أو طمأنينة يتحقق معها سعادته .

وقد جعل صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ، الطمأنينة، حال يميز تصوفهم ويعتبر كلامهم فى الطمأنينة تمهيدا لنظرية الغزالى فى السعادة ، فى القرن الخامس الهجرى .

وقد يعبر بعض الصوفية عن الطمأنينة بالفرح ، والفرح الحقيقى عندهم ، هو شهود الله تعالى فى حركاتهم وسكناتهم ، ورؤية الله تعالى ، الذى ينعم عليهم ، فطاعاتهم وعباداتهم ليست إلا فضلا منه ورحمة ، وهذا مشار إليه فى

قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون) (١) .

وهذا يقتضى منهم الفرح بما من الله إليهم ، لا الفرح بأعراض الدنيا ، فهذا الفرح الأخير ، وهم على التحقيق ؛ لأنه يستجلب بالتدريج هموما ، لا حصر لها ، وإلى هذا المعنى يقول سهل بن عبد الله التسترى :"من فرح بغير مفروح به ، استجلب حزنا لا انقضاء له "(٢) .

وقد يعنى بعض الصوفية بالطمأنينة ، السكينة ، فالسكينة عندهم هى الطمأنينة والوقار ، والسكون الذى ينزله الله فى قلب عبده ، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات النفسى ، ولهذا أخبر الله تعالى عن إنزاله السكينة على رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى المؤمنين فى مواضع القلق والاضطراب . وهناك أمثلة كثيرة لذلك ، ففى يوم الهجرة ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغار هو وصاحبه أبو بكر ، وكان العدو فوق رؤوسهما ، ولو نظر أحدهما إلى ما تحت قدميه لرأى العدو . وكيوم حنين فر المؤمنين من شدة بأس الكفار .

---

(١) سورة يونس . آية ٥٨ .

(٢) مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ص ١٦١ .

وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم وضعف عمر عن تحمل شروطهم .

ويقول ابن عباس رضى الله عنه فى معنى السكينة وارتباطها بالطمأنينة : (كل سكينة فى القرآن فهى طمأنينة)(١) .

وقد يعبر بعض الصوفية عن الطمأنينة بالإخبات ، يقول ابن عربى حول هذا المعنى : (من الأولياء - أيضا - المخبثون من جال ونساء - رضى الله عنهم - تولاهم الله بالأخبات وهو الطمأنينة ، قال إبراهيم عليه السلام : (ولكن ليطمئن قلبى)(٢) ، أى يسكن(٣) .

وقد يعنى بعض الصوفية بالطمأنينة ، اليقين يقول ابن عجيبة الحسنى حول هذا المعنى (اليقين ، هو سكون القلب وطمأنينة ، بحيث لم يبق فيه اضطراب ولا ريب ، فى جميع الأمور) (٤) .

---

(١) مدارج السالكين ، حـ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٠ .

(٣) محى الدين بن عرب ، الفتوحات المكية - السفر الحادى عشر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م ص ٤٧١ .

(٤) ابن عجيبة الحسينى ، إيقاظ الهمم ، مكتبة ومطبعة مصطفى البالى الحلبى ، القاهرة ، عام ص ٤٤٠

ويرى الحارث بن أسد المحاسبى أن صحة اليقين فى ثلاثة أشياء ، سكون القلب إلى الثقة بالله ، والانقياد لأمر الله ، والإشفاق والوجل من سابق العلم .(١)

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبى ، رسالة المسترشدين ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، سوريا عام ١٩٧١ م ، ص ١٧٥ .

ثانيا

الطمأنينة ومجاهدة النفس أخلاقيا

ثانيا

الطمأنينة ومجاهدة النفس أخلاقيا

(أ) تمهيد

(ب) الطمانينة والنفس الإنسانية

(جـ) الطمانينة والأخلاق المحمودة

ثانيا

الطمأنينة ومجاهدة النفس أخلاقيا

(أ) تمهيد :

أوضحنا فى الفصل السابق معنى الطمأنينة فى اللغة العربية ، وفى القرآن الكريم وعند صوفية الإسلام ، أما فى هذا الفصل ، فسوف نتحدث عن ارتباط الطمأنينة بمجاهدة النفس من الناحية الأخلاقية ، فنبدأ ببيان ارتباط الطمانينة بالنفس الإنسانية ومجابهتها ثم نتبع ذلك بارتباط الطمأنينة بمجاهدة النفس أخلاقيا ، فنتكلم عن ارتباط الطمأنينة بالصدق والجود والسخاء ، وغيرها من الأخلاق المحمودة ، وما يضاد ذلك من الأخلاق المذمومة مثل الكذب والشح أو البخل والغفلة وما إلى ذلك .

(ب) الطمأنينة والنفس الإنسانية :

النفس الإنسانية عند الصوفية هى الأصل الجامع للصفات المذمومة فى الإنسان ، فهى توصف عندهم بأوصاف مختلفة ، فالنفس الأمارة هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات وهى منبع الأخلاق المذمومة ، يقول الله تعالى فى هذا الشأن

(إن النفس لأمارة بالسوء)(١) أما إذا سكنت النفس تحت الأوامر الإلهية،وانتفى عنها الأضطراب ، فإنها تسمى النفس المطمئنة .

أما النفس اللوامة فيما يرى الصوفية ، فهى التى انتبهت عن الغفلة فتيقظت وبدأت بإصلاح حالها ، فهى تلوم نفسها وتتوب عن الأخلاق المذمومة ، وقد قال الله تعالى عنها(٢).

(لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة) ونحن نجد الغزالى يصف لنا النفس ، فهو يقول : " النفس إذا لم يتم سكونها ، ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ، سميت النفس اللوامة ، فإذا تركت الاعتراض وأذعنت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان ، سميت الأمارة بالسوء "(٣) .

ويرى بعض الصوفية أن النفس الإنسانية ما دامت مشغولة بخطوظها وشهواتها ، فهى نفس ، أما إذا

---

(١) سورة يوسف آية ٥٣ .

(٢) سورة القيامة آية ٢ .

(٣) أبو حامد الغزالى ، روضة الطالبين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ،ص١٦٧ ويرى الغزالى كذلك أن النفس إذا سكنت تحت الأمر ، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات . سميت النفس المطمئنة ، راجع روضة الطالبين ، ص ١٦٧ .

انزجرت، وعقلت بعقال الشرع ، فتارة تعصى ويتوب ، وتارة تحن وتتوب ، سميت عقلا ، ونورها قليل ، لأنها محبوسة فى سجن الأكوان ، معقولة بالدليل والبرهان (١) .

ويذهب ابن عجيبة الحسنى ايضا إلى أن أخص ما يكون القلب ، عندما تذهب عنه النفس ، وذلك بترك حظوظها وشهواتها وأهوائها ، فهو يقول فى هذا الشأن " أخص ما يكون القلب حين ذهاب النفس وذهاب النفس إنما يكون بترك خطوظها ، ولا يتحقق ذلك فى الغالب إلا فى حالة الفاقة والفقر "(٢) . أما عن القلب ، فإن الغزالى يرى أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بالقلب الجسمانى تعلق يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموضوعات ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان المدرك ، العالم المخاطب المطالب المثاب المعاقب (٣) .

ويذهب القاشانى إلى أن القلب جوهر نورانى يتوسط بين الروح والنفس الناطقة (٤).

---

(١) ابن عجيبة الحسنى أيقاظ الهمم ، ص ٣١٢ .
(٢) ايقاظ الهمم ، ص ٣١٢ .
(٣) راجع ، روضة الطالبين ، ص ١٦٦ .
(٤) انظر ، اصطلاحات الصوفية ، ص ١٤٥ .

أما ابن عجيبة الحسنى فيرى أن القلب عندما تترادف عليه أنوار الواردات (وهى أنوار التوجه) حتى يسكن إلى الله ويطمئن ، فحينئذ يسمى روحا (١) .

القلب إذن عند سائر الصوفية ، الإداة التى تحصل بها المعرفة بالله وبالأسرار الألهية بكل ما ينطوى تحت العلم الباطن ، فهو أداة إدراك وذوق ، لا مركز حب وعاطفة أما مركز الحب عندهم ، فهو الروح ، وإن كانوا ينسبون الحب إلى القلب أحيانا ، وليس غريبا أن يعتبر الصوفية القلب مركزا للإدراك لا العاطفة ، فإنهم نحوا فى ذلك منحى القرآن الذى صور القلب هذا التصور ، فجعله محلا للإيمان ، ومركزا للفهم والتدبر ، يقول تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)(٢) ويقول كذلك (أولئك الذين كتب فى قلوبلهم الإيمان)(٣) .

أما الروح فيما يرى الغزالى ، فإنه يريد بها اللطيفة العالمة المدركة من الأنسان ، التى هى أحد معانى القلب ،

---

(١) راجع ، أيقاظ الهمم ، ص ٣١٢ .
(٢) سورة محمد ، الآية ٢٢ .
(٣) سورة المجادلة الآية ٢١ .

وهو الذى أراده الله تعالى بقوله : (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى) (١) .

وفى كل الأمور ، فإن الصوفية يرون أن النفس من أصدقاء السوء بالنسبة للمريد ، فإذا اهتم المريد بنفسه ، فإنه لن يجد الطمأنينة وراحة القلب وحول هذا المعنى يقول أبو سعيد بن أبى الخير " صديق السوء هو نفسك ، أرايت من أتخذ إلهه هواه ؟ وطالما أنت تهتم بنفسك فلن تجد الراحة قط .

(جـ) الطمأنينة والأخلاق الحميدة :

إن تصفية القلوب من الرذائل ، وتخليتها بالفضائل ، هو علم القلوب ، وهذا العلم يبحث أولا عن عيوب النفس وعيوب القلب ، وعيوب الروح ، وعيوب السر ، فيظهر كل واحد من عيوبه ، فإذا تطهر من الجميع ، تحلى بصفات الكمال ، كالإيمان والإتقان ، والطمئانينة والمراقبة والحلم والرافة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحميدة(٢)

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ ، وانظر روضة الطالبين ، ص ١٦٧ .
(٢) راجع ، إيقاظ الهمم ، ص ٣٧٣ .

والطمأنينة خاصيــة مميزة لكل أنـواع التصوف ، ذلك أن التصوف يهدف إلى قهر دواعى شهوات البدن وضبطها وإحداث نوع من التوافق النفسى عند الصوفى ، وهذا من شأنه أن يجعل الصوفى متحررا من كل مخاوفه ، وشاعرا براحة نفسية عميقة أو طمأنينة يتحقق معها سعادته (١) .

ويذهب بعض الصوفية إلى أنه أحيانا يتعنت العبد فى مجاهداته ، معتقدا أنه يتقدم أو يحرز شيئا ، ثم يقع بعد ذلك فى العجز ، ولا يشعر بالراحة ؛ لأن عمله غير خالص وملوث ، وعندئذ يعرف أنه قام بهذه الطاعات لغرض ، فنتوب، ويتبنى أنها أعمال تمت بتوفيق اللــه ، وعندما يعلم هذا ، يفتح (٢) .

أمام قلبه طريق الحق ، وعند ذلك يشعر بالراحة

والخاطر (٣) المذموم ، هو الذى يدعو إلى الشر ، ويسمى

---

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ص ١٦١

(٢) أسوار التوحيد ، ص ٣٢١ .

(٣) الخاطر عند الصوفية : هو ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذى لا تعمل للعبد فيه ، وما كان خطابا ، فهو على أربعة أقسام : ربانى ، وهو أول ألخواطر ، ويسميه سهل بن عبد الله التسترى (السبب الأول ونقر الخاطر) وهو لا يخطئ أبدا ، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الأندماج بالدفع . وملكى وهو الباعث على مندوب أو مفروض وفى الجملة : كل ما فيه صلاح يسمى ألهاما .
ونفسانى : وهو ما فيه حظ النفس ، ويسمى هاجسا .

وسواسا ، وسببه الشيطان، ويرى بعض الصوفية أنه إذا أراد المريد أن يمتنع عنه وسوسة الشيطان فإنه يجب عليه أن يفرح ، لأنه إذا فرح بالوسوسة ، ذهب عنه الشيطان ، واستمع إلى أبى سليمان الدارانى (المتوفى عام ٢١٥هـ) وهو يقول فى هذا المعنى : (شكوت إليه الوسواس – أى إلى الله تعالى – فقال : إذا أردت أن ينقطع عنك ، فأى وقت أحسست به ، فافرح ، فإنك إذا فرحت انقطع عنك ، لأنه ليس شئ أبغض للشيطان من سرور المؤمن ، وإن أهتممت به ، زادك (١).

ويرى بعض الصوفية أن معالجة وساوس الشيطان تكون بذكر الله تعالى ، والأستعانة به ، والتبرى من الحول والقوة ، يقول أبو حامد الغزالى فى هذا الشأن :

(لا يعالج الشئ إلا بضده ، وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله ، بالاستعانة ، والتبرى من الحول والقوة ، وهو معنى قولك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولا حول

وشيطانى : وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق ، أنظر القاشانى ، كمال الدين عبد الرازق ، اصطلاحات الصوفية الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٨١ م ، ص ١٨٥ .

(١) طبقات الأولياء ، ص ٣٨٩ .

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى(١)

ومن التقوى أداء العبادات والطاعات ، وهذه تحتاج فيما يرى بعض الصوفية إلى الصبر على شدتها ، فالذى يصبر على شدتها تؤدى به إلى الراحة النفسية ، وهدوء البال والطمأنينة ، والصبر على العقبات والشدائد يعبر عنه بعض الصوفية بمجاهدة النفس ، يقول ابن عجيبة الحسنى فى هذا الشأن : (ليس شئ من الطاعات إلا وبه عقبة كئود، يحتاج فيها إلى الصبر ، فمن صبر على شدتها ، أفضى إلى الراحة والسهولة ، وإنما هى مجاهدة النفس ومخالفة الهوى) (٢)

وحب الشهوات من أعظم المهلكات فيما يرى بعض الصوفية ، ولا يطمئن قلب السالك إلا إذا تخلص من هذه الشهوات ، ولا يستطيع السالك علاج الشهوات إلا بوارد قوى (٣) جلالى أو جمالى ، أما الوارد الجلالى فهو خوف

---

(١) أنظر إحياء علوم الدين ، جـ٣ ، ص ٢٤ .
(٢) راجع ، إيقاظ الهمم ، ص ١٨١ .
(٣) الوارد القوى عند الصوفية هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة ، يخلقها الله فى قلب العبد ، وقد تنشأ عن قوة خوف أو هيبة أو جلال ، فتزعجه تلك القوة إلى النهوض إلى الله تعالى ، فيخرج عن عوائده

مزعج يخرج المريد عن الشهوات ، وأما الوارد الجمالى فهو شوق مقلق يخرج المريد عن الحظوظ والشهوات والمرادات وينسيه نفسه ، ويؤنسه بما لله تعالى ، وإلى هذا المعنى يشير ابن عطاء الله السكندرى قائلا : (لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج ، أو شوق مقلق)(١) .

فأصل الطمأنينة فيما يرى الكمشخانوى ، طمأنينة القلب إلى التخلق بأخلاق الحق (٢)

ومن الأخلاق الحميدة فيما يرى بعض الصوفية ، الصدق ، وعدم الكذب ، والأثر المعروف يقول (الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة) ، أى شك ، ومعنى ذلك أن الصدق يطمئن إليه قلب السامع ، ويجد عنده سكونا إليه ، والكذب يوجب له اضطرابا وارتيابا ، وكذلك البر ، فإن البر هو ما يطمئن إليه القلب ، أى يسكن إليه ، ويزول عنه الاضطراب والقلق ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (البر ما اطمأن إليه القلب) أى سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه (٣) .

وشهواته وهواه ، ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه ، وهذه هى واردات أهل البداية ، وهم المريدون .انظر ايقاظ الهمم ص ٣٧٣ .

(١) أيقاظ الهمم ، ص ٣٤٩ .

(٢) أنظر ، جامع الأصول ، ص ٣٥٥ .

(٣) انظر مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٢ .

ويرى بعض الصوفية أن للقلب أمراض ، ومرض القلب هو نوع فساد يحصل له ، يفسد به تصوره وإرادته ، فتصوره بالشبهات التى تعرض له ، حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه ، بحيث يبغض النافع ، ويحب الضار .

ومرض القلب له أعراض ، فهو يبدأ بآلام تحدث فيه ، مثل الغيظ من عدو يستولى على العبد ، وكذلك يكون الغم والحزن ، وكل هذه آلام تحدث فى القلب والنفس

وكذلك الشك ، فهو يؤلم القلب ، فالشاك فى أى شئ ، يتألم قلبه ، حتى يحصل له اليقين والطمأنينة(١) .

ومن الأخلاق المحمودة عند صوفية الإسلام ، الجود والسخاء ، ويضاده البخل أو الشح ، فالبخل مرض ، والشح مرض ، وهذا يوجب بغض النفس لما ينفعها وحبها لما يضرها ، فالمال مثلا إن كان مفقودا، يجب أن يكون حال العبد فيه القناعة ، وقلة الحرص وإن كان موجودا، فينبغى أن تكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف ، والتباعد عن الشح والبخل ، وحول هذا المعنى يقول أبو سعيد بن الأعرابى حينما سئل عن أخلاق الفقراء " أخلاقهم

---

(١) طبقات الصوفية ، ص ١٠٥ .

سكون عند الفقر ، واضطراب عند الوجود ، والأنس بالهموم ، والوحشة عند الأفراح "(١).

وخلاصة القول ، إن من الأخلاق المحمودة عند صوفية الإسلام ، طمأنينة القلب وسكونه عند الفقر ، واضطراب القلب عند الوجود .

ويحذر بعض الصوفية من البخل ، فيقول ذو النون المصرى "إياك والبخل ، أما البخل عند أهل الدنيا ، فهو أن يكون الرجل بخيلاً بماله ، وأما الذى عند أهل الآخرة فهو الذى يبخل بنفسه عن الله تعالى ، ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله ، أورثه قلبه الهدى والتقى ، وأعطى السكينة والوقار ".(٢)

وفى كل الأحوال ، فإن ترك الاشتغال بالمال فيه راحة للبدن ، وأقل تعبأ ، وأنعم للعيش ، وأقل للهموم يقول الغزالى حول هذا المعنى:
" بلغنا أن بعض خيار البالغين سئل عن رجلين ، أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها ، فوصل بها رحمه ، وقدم لنفسه، وأما الآخر فإنه جانبها ، فلم يطلبها ولم يتناولها ،

---

(١) راجع مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٢ .
(٢) راجع طبقات الصوفية . ص ١٢ .

فأيهما أفضل ، كما بين مشارق الأرض ومغاربها ، ويحك، فهذا أفضل لك بترك الدنيا على من طلبها، ولك فى العاجل إن تركت الاشتغال بالمال أن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك، وأنعم لعيشك ، وأرضى لبالك ، وأقل لهمومك (١) .

ومن الأخلاق المحمودة عند بعض الصوفية الورع ، وهو الذى يقابل الطمع ، أما الورع بمعناه العام ، فهو ترك المتشابه والحرام ، وهذا الورع يرتبط بطمأنينة القلب وكمال التعلق بالله تعالى ، يقول عبد العزيز المهدوى فى هذا الصدد

"الورع" : ألا تتحرك ولا تسكن إلا وترى الله فى الحركات والسكون ، فإذا رأى الله (أى العبد) ، ذهبت الحركة والسكون ، وهى مع الله(٢)

فإذا اطمأن العبد ، وذلك بالتخلى عن الرياء والكذب والخيانة والغفلة والعجز والفتور والتيه والعجب ، والتحلى بالصدق والإخلاص والتوبة والعلم واليقين والكيس والعمل وما إلى ذلك ، فقد باشر روح الطمأنينة .

يقول ابن القيم فى هذا الشأن :"إذا اطمأنت (أى النفس) من الشك إلى اليقين ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الغفلة إلى

(١) راجع . إيقاظ الهمم ، ص ١٢٤ .
(٢) راجع . طبقات الصوفية ، ص ١٢ .

الذكـر ، ومـن الخيانـة إلـى التوبـة ، ومـن الريـاء إلـى الأخلاص، ومن صولة العجب إلى ذلة الإخبات ، ومن التية إلى التواضع ، ومن الفتور إلى العمل ، فقد باشرت روح الطمأنينة ، وأصل ذلك كله ومنشؤه من اليقظة (١) .

ويرى بعض صوفيـة الإسـلام أن العبـد يسـتطيع أن يكشف عن عيوب نفسه فى اليقظة ،فإن غفلة القلب تحجبه عن الإدراك ، فينزع إلـى الشـهوات ، ويخـالط أهـل البطالات، ويرضى بالتشبه بأهل إضاعة الأوقات وحول هذا المعنى يقول ابن القيم " ثم يبرق له (أى للعبد) بارقه أخرى يرى فى ضوئها عيوب نفسه ،وآفـاق عمله ، وما تقدم له من الجنايات والاساءات ، وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق والواجبات ، فإذا انضم ذلك إلى شهود نعم الله عليه ، وأياديه لديه رأى الحق المنعم عليه فى نعمه وأوامره ، لم يبق له سنة واحدة يرفع بها رأسه ، فيطمئن قلبه وإذا استيقظ القلب(٢) ، فإن العبد يرى عزة وقته ، وعدم إضاعته فى الخسران والحسرة والندامة فيحافظ على وقته ، ويقوم بعمارة أوقاته فى الربح والسعادة (٣)

---

(١) ابن القيم ، الروح ، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع ، الاسكندرية عام ١٩٨١م ، ص ٢٩٩

(٢) راجع ، الروح ، ص ٢٩٩ .

(٣) انظر ، الروح ، ص ٢٩٩ .

ثالثاً

العلمانية والرياضات الروحية العملية

ثالثاً

الطمأنينة والرياضات الروحية العملية

(أ) تمهيد .

(ب) الطمانينة والذكر .

(جـ) الطمانينة والعزلة .

(د) الطمانينة والسماع .

ثالثاً

الطمأنينة والرياضات الروحية العملية

(أ) تمهيد

أوضحنا فيما سبق ، ارتباط الطمأنينة بمجاهدة النفس من الناحية الأخلاقية ، فتحدثنا عن أرتباط الطمأنينة بالصدق والجود والسخاء من الأخلاق المحمودة ، ومايضادها من الأخلاق المذمومة مثل الكذب والبخل والشح والغفلة وما إلى ذلك .

أما فى هذا الفصل ، فسوف نتحدث عن ارتباط الطمأنينة بالرياضات الروحية العملية، فنوضح ارتباط الطمأنينة بالذكر والسماع والعزلة وغير ذلك .

(ب) الطمأنينة والذكر :

ترتبط الطمأنينة بالرياضات الروحية العملية عند صوفية الإسلام ، فالنفس فيما يرى الكمشخانوى ، لاتطمئن الا بذكر الله تعالى ، واستمع اليه وهو يقول حول هذا المعنى :

(اطمئنان النفس بذكر الحق) (١)

---

(١)انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٥٥ .

فاذا ذكر المريد الله تعالى ، فإنه يطمئن إليه قلبه ، أما إذا اضطرب قلبه ، فليس له مايطئمن به سوى ذكر الله .

ويذهب صوفية الإسلام إلى أن المقصود بالذكر ، ذكر المريد ربه بينه وبينه ، حتى يسكن إليه قلبه ويطمئن.

وقد يعني الذكر كذلك فيما يرى الصوفية ، كلام الله وكتابه ، وهو القرآن الذى أنزله على رسوله وبه طمأنينة قلوب المؤمنين ، فإن القلب لايطمئن الا بالإيمان واليقين ، يقول ابن القيم حول هذا المعنى :

"لاسبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن ، فإن سكون القلب وطمأنينة من يقينه ، واضطرا به وقلقه من شكه ، والقرآن هو المحصل لليقين ، الدافع للشكوك والظنون والأوهام ، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به"(١)

والطمأنينة فيما يرى بعض الصوفية ، هى الاستراحه مع الله ، وهى ترويح القلب بذكر الله تعالى ، أما استراحة القلب عن الله ، فإنها تؤدى بالمريد إلى الغفلة عن ذكر الله، يقول أبو الحسين بن هند الفارسى حول هذا المعنى :

---

(١) انظر ، مدارج السالكين ، ج٢ ، ص٥١٢

"استرح مع الله ، ولاتسترح عن الله ، فإن من استراح مع الله نجا ، ومن استراح عن الله هلك ، والاستراحة مع اللـه ترويح للقلب ، والاستراحة عن الله مداومة للغفلة" (١)

وذكر النفس من دون الله تعالى ، والأعتناء بحظوظها، سـبب التعـب وعـدم الراحـة النفسـية وعـدم الطمأنينـة والاسـتقرار النفسـى ، يقـول ابـن عجيبـة الحسـنى فـى هـذا المعنى :"سـبب التعـب هـو ذكـر النفـس والأعتنـاء بشـئونها وحظوظها ، وأما من غاب عنها ، فلا يلقى إلا الراحة"(٢)

ومن يعرض عن ذكر اللـه ، فـإن الوسـاوس الشـيطانية وهواجس النفس تنفتح عليه ، وتتعلق عليه أبواب الطمأنينـة والراحة ، وحول هذا المعنى يقول ابو القاسم القشيرى: "من أعـرض عـن ذكـره (ذكــر اللــه) انفتحـت عليــه وسـاوس الشيطان، وهواجس النفس بما يوجب لـه وحشـة الضمـير ، وانسداد ابواب الراحة والبسط "(٣)

وعلى الجملة : فإن من يشير إلى الله تعـالى ، ويسكن ويطمئن إلى غير اللـه ، فـإن اللـه يحجـب ذكـره عـن قلبـه ويجريه على لسانه ، فيما يرى أبو القاسم الجنيد"(٤)

---

(١) انظر ، طبقات الصوفية ، ص ٩٧
(٢) انظر ، ايقاظ الهمم ، ص ١٣ .
(٣) انظر ، لطائف الاشارات ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ .
(٤) طبقات الصوفية ، ص ٣٧ .

ويسأل ابن القارض من صاحبه ان يجعل فى قلبه الطمأنينة والراحة النفسية والاستقرار ، نتيجة ذكر الله تعالى ، والقرب منه ،ويستعير ابن الفارض بعض الألفاظ المجازية للتعبير عن هذا المعنى ، فهو يشير إلى الحضرة الربانية بالمنحنى ، - من الانحناء - وهو التدنى، والدنو هو القرب، والمنحنى هو المكان الذى فيه الأحباب ، وهو مكان انحناء الوادى فى بلاد الحجاز ، يقول ابن الفارض شعرا :

روح القلب بذكر المنحنى

واعده عند سمعى يا أخى

(جـ) الطمأنينة وارتباطها بالعزلة :

العزلة من الرياضات الروحية العملية عند صوفية الإسلام ، وهى تعنى اعتزال الأشرار من الناس ، ويوصى سرى السقطى مريده بالعزلة ، لأنها تريح قلب المريد ، وتبعث على الاستقرار والثبات النفسى ، يقول السقطى فى هذا المعنى :

"من أراد أن يسلم دينه ، ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس ، لأن هذا زمان عزلة ووحدة"(١)

---

(١) انظر ، طبقات الصوفية ، ص ١٥ .

ويحذر بعض الصوفية من الاطمئنان إلى الناس ومن صحبتهم ، لأن الطمأنينة إليهم وصحبتهم عجز وضعف وعدم استقرار نفسى ، وحول هذا المعنى يقول أبو عمرو إسماعيل بن نجيد لمريده "الطمأنينة إلى الخلق عجز".(١)

ويوضح صوفية الإسلام كلام ابن نجيد عن ارتباط الطمأنينة بالعزلة ، فيذهبون إلى أن العجز الناتج عن الطمأنينة إلى الخلق والناس له صور كثيرة ، منها الاختلاط بالأشرار من الناس والحمقى ، والأشتغال بزينة الدنيا ، والحسد ، وسوء الظن .

وخلاصة القول :

إن العزلة من الرياضات العملية التى تعنى عدم الاختلاط بالأشرار من الناس ، وهذا يؤدى عند صوفية الإسلام إلى الطمأنينة والثبات والاستقرار النفسى .

---

(١) انظر ، طبقات الصوفية ، ص ١١٢ .

(د) الطمأنينة والسماع :

يعنى السماع عند صوفية الإسلام ، انتباه القلب إلى مايحمد شرعا ، فالمريدون ينبغى عليهم استماع القول الذى أثنى الله عليه وأمر باستماعه .(١)

والسماع عند صوفية الإسلام ، يثمر فى القلب حالة تسمى الوجد ، والوجد عند الصوفية يوجد عقيب السماع ، وينتج عنه الطمأنينة والخشية ولين القلب وعدم جموده وقسوته ، وحول هذا المعنى يقول الغزالى :

" كل مايوجد عقيب السماع فى النفس فهو وجد ، فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب، كل ذلك وجد".(٢)

والوجد الحق فيما يرى بعض الصوفية هو الذى ينتج عن حب الله ، والشوق إلى لقائه ، وهذا يكون نتيجة سماع القرآن ، يقول الغزالى فى هذا المعنى "الوجد الحق هو ماينشأ من فرط حب الله تعالى ، وصدق إرادته ، والشوق إلى لقائه ، وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا ، وإنما الذى

---

(١) زكريا الأنصارى ، الشرح على الرسالة القشيرية. القاهرة عام ١٣٧٩، ص ١٦٦ .

(٢) احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ٢٦١ .

لايهيج يسماع القرآن ، حب الخلق ، وعشق المخلوق ، ويدل على ذلك قوله تعالى :

"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"(١)

وللسماع آداب فيمايرى الصوفية ،منها :

مراعاة الزمان والمكان والاخوان ، يقول ابو القاسم الجنيد : "السماع يحتاج" الى ثلاثة اشياء ، والا فلا تسمع " الزمان والمكان والإخوان"(٢)

وعلى الجملة : فإن الإشتغال بالسماع فى وقت الطعام مثلاً ، او فى الصلاة ، فهذا يؤدى الى اضطراب القلب وعدم الاستقرار والثبات النفسى ، لذلك ينصح الصوفية بمراعاة فراغ القلب من كل ذلك اثناء السماع.

أما المكان ، فقد يكون مكانا كريه الصورة ، أو به سبب يشغل القلب ويجعله فى حالة من عدم الاستقرار ، فيجب على المريد تجنب ذلك فى حالة السماع ، واما الإخوان ، فإذا حضر غير الأصحاب من الصوفية والمريدين ، الذين ينكرون على الصوفية الذكر والسماع وغيره من الرياضات العملية، فإن القلب يشتغل به

---

(١) انظر احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ٢٦١ .

(٢) احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ٢٦٥ .

ويضطرب لأجله ويصير في حالة من القلق وعدم الاستقرار النفسى .

ومن آداب السماع كذلك فيمايرى صوفية الإسلام أن يكون المريد مستغرق القلب أثناء السماع ، متماسكا عن التصفيق وسائر الحركات مثل التمايل ، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار ، فهو فيه معذور غير ملوم ، ومهما رجع اليه الاختيار ، فليعد الى هدوئه وسكونه ، وذلك فيما يرى الغزالى "(١)

ويذكر الغزالى سبب تفضيل السكون والهدوء على الحركات ، فيرى أنه رب ساكن أتم وجدا من المضطرب ، فقد كان الجنيد يتحرك فى السماع فى بدايته ، ثم صار لايتحرك، فقيل له فى ذلك ، فقال : "وترى الجبال تسحبها جامدة وهى تمر مر السحاب، صنع الله الذى اتقن كل شئ".(٢)

وخلاصة القول :

إن الصوفية فى بداية طريقهم ، يضطربون ، وهم يسمون فى بداية الطريق الصوفى بالمريدين ، أما

---

(١) أنظر ، إحياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ٢٦٦ .
(٢) احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ٢٦٦ ، والاية رقم ٨٨ من سورة النمل"

الواصلون ، فإنهم يتمكنون من السماع ، ويكونون فى حالة من الاستقرار والثبات النفسى.

ومن آداب السماع كذلك عند صوفية الإسلام ، ان لايزيد المريد اثناء السماع فى حركاته ، وحول هذا المعنى يقول الهجويرى للسالك :

"لاتزيد فى حركاتك حتى تقهرك قوة السمع ، فإذا تسلطت عليك لايلزمك مقاومتها ، بل ويلزمك متابعتها ، فإذا اشتدت قوة السماع يلزمك ان تضطرب ، وإذا سكنت يلزمك أن تسكن".(١)

---

(١) كشف المحجوب ، ص ٥٠٥ .

رابعاً

ارتباط الطمأنينة بالمقامات والأحوال

رابعاً

ارتباط الطمأنينة بالمقامات والأحوال

(أ) تمهيد:

(ب) الطمانينة والمقامات

(جـ) الطمانينة والأحوال .

رابعاً

ارتباط الطمأنينة بالمقامات والأحوال

تمهيد :

تحدثنا فيما سبق عن ارتباط الطمأنينة بالرياضات الروحية العملية من ذكر وسماع وعزلة وخلوة الى غير ذلك .

وسوف نتحدث هنا عن ارتباط الطمأنينة بالمقامات والأحوال ،فالقلب بعد طهارته من الأخلاق الذميمة ، ويصير على القرب من الله تعالى ، يرتقى على المقامات ، وترد عليه الأحوال ، كالشكر والصبر والرجاء والرضا والزهد والتوبة ، والحب والخوف والشوق ، وغير ذلك ، وهذا هو القلب المطئمن.(١) وفيما يلى بيان ذلك .

(ج) الطمأنينة والمقامات :

يربط الصوفية بين الطمأنينة والزهد ، فلما كان أحد معانى الطمأنينة هى سكون القلب بعد اضطرابه ، فإن ابا حامد الغزالى يرى أن الزهد هو سكون القلب ، حتى يذوق

---

(١) راجع ،إحياء علوم الدين ، جـ ٣ ، ص ٤٠ .

حلاوة الزهد ، فـإذا سكن القلب فـى معنـى الزهـد ، صـار مقامـا ، وهومكتسـب مـن دوام العمـل ، والقلـب هنـا هـو القلـب المطئمـن ، المـراد بقولـه تعـالى (الا بذكـر اللـه تطمئـن القلـوب)(١) ، وقولـه عـز وجـل (يـا أيتهـا النفـس المطمئنة)(٢) .... (٣)

وهكذا نـرى أن الزهـد فـى الدنيـا يكـون براحـة القلـب والجسد ، يقول عمر رض الله عنه "الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد "(٤)

وعلى الجملة ، فالزاهد فيما يرى صوفية الإسلام ، هـو كل من باع الدنيا بالآخرة ، والزهد هو الرغبة عن محبـوب بالجملة ، بالعدول إلى شئ هو أصعب منه ، أو هو الرغبـة عن كل ماسوى الله تعالى.(٥)

والصبر عند الصوفيـة يعنـى تـرك الشكوى مـن ألـم البلـوى لغير اللـه ، لا إلـى اللـه، وانتظـار الفرج مـن اللـه تعالى.

ويربط بعض الصوفية بين الطمأنينـة والصبر ، فيرى أبن القيم مثلاً ، أن من أدركه الضجـر مـن قـوة التكـاليف ،

---

(١) سورة الرعد أيه : ٢٨ .

(٢) سورة الفجر أيه : ٢٧

(٣) راجع ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٩٤ .

(٤) انظر ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٩٤ .

(٥) راجع ، أحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٨٧ .

وأعباه الأمر واثقاله ، ولاسيما من أقيم مقام التبيلغ عن الله، ومجاهدة اعداء الله ، وقطاع الطريق ، فإن مايحمله ويتحمله فوق مايحمله الناس ويتحملونه ، فلابد أن يدركه الضجر ، ويضعف صبره ، فإذا اراد الله ان يريحه ويحمل عنه، أنزل عليه سكينته ، فاطمأن إلى حكمه الدينى ، وحكمه القدرى ، ولاطمأنينة له بدون مشاهدة الحكمين ، وبحسب مشاهدته لهما ، تكون طمأنينته ، فإذا اطمأن إلى حكمه الدينى، علم أن دينه الحق ، وهو صراطه المستقيم ، وهو ناصره وناصر أهله ، وكافيهم ووليهم ، وإذا أطمأن إلى حكمه الكونى ،علم أنه لن يصيبه إلا ماكتب الله له ، وأنه مايشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فلا وجه للجزع والقلق الا ضعف اليقين والإيمان ، فإن المحذور والمخوف إن لم يقدر ، فلا سبيل إلى وقوعه ، وإن قدر فلا سبيل إلى صرفه بعد أن ابرم الله تقديره ، فلا جزع حينئذ لا مما قدر، ولامالم يقدر (١) وحول هذا المعنى يقول ابن القيم (طمأنينة الضجر إلى الحكم)(٢)

وهكذا فإن المتبلى إذا قويت مشاهدته للثواب ، اطمأن قلبه وسكن وصبر .

---

(١) راجع ، مدارج السالكين ، جـ١ ، ص ٥١١ .

(٢) راجع مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٦ .

ويربـــط بعـــض صوفيـــة الإســـلام بيـــن الطمأنينـــة والاعتراض على الأحكام الإلهية الجارية على العبد خـلاف مايريد ، فالاعتراض على الأحكام يكون نتيجة عدم الصبر ، ويكون من آثاره الحزن عند إدراك العبد لذلك الاعتراض على ماصدر من سوء الأدب مع الله تعالى، فيضطرب قلبه ويقلق لذلك ، يقول ابن القيم فى هذا الشأن "إن أربـاب الأحوال يقع منهم اعتراضات على الأحكام الجارية عليهم خـلاف مايريدونـه ، فيحزنـون عنـد إدراكهـم لتلـك الاعتراضات على ماصدر منهم من سوء الأدب".(١)

والصـابر علـى الحقيقة عند الصوفية هو الذى يقهر داعى الهوى ، فلاتبقى لـه قوة المنازعة ، ويتوصل إليه (السالك) بدوام الصبر ، وعندها يقال (من صبر ظفر) ، والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون ، فلاجرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ن فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم ، واستووا على الصراط القويم ، وإطمأنت نفوسهم ، على حد قول ابى حامد الغزالى.(٢)

---

(١) انظر مدارج السالكين جـ١ ، ص ٥١١ .
(٢) راجع إحياء علوم الدين ، جـ٤ ، ص ٥٩ .

ويربط بعض الصوفية بين الطمأنينة والشكر ، فيرى ابن القيم أن المتبلى إذا قويت ملاحظته للثواب والعوض ، سكن قلبه وإطمأن وقد تقوى ملاحظة العبد (المتبلى) للثواب والعوض ، حتى يلتذ بالبلاء ويراه نعمه، ويضرب ابن القيم مثلا لذلك بالدواء ، فكثير من العقلاء إذا تحقق نفع الدواء الكريه ، فإنه يكاد يلتذ به ، وملاحظته لنفعه تغيبه عن تألمه بمذاقه.(١)

ولما كان من علامات الشكر وأحد اركانه الفرح بالمنعم وهو الله تعالى ، دون الفرح بالنعيم ، فإن ابن عجيبة الحسنى ، يربط بين الفرح الذى ، من علامات الطمأنينة فهو يرى أن (الشكر فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته ، حتى يتعدى ذلك الى الجوارح ، فتنبسط بالأوامر ،وتكف عن الزواجر).(٢)

والتوكل عند صوفية الإسلام ، هو تعلق القلب بالله ، والطمأنينة إلى كفايته ، واستناده إليه ، وسكونه ، بحيث لايبقى فيه اضطراب او حركة .

وهذا يعنى أن طمأنينة القلب تكون بالثقة بالله فى التوكل ، فالتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى ، وإذا

---

(١) ارجع إلى مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٦ .
(٢) ايقاظ المهمم ، ص ١٢٨ .

بلغ العبد هذا القدر ، فلـن يحس شيئا آخر بعد ذلك ، بل يحصل له الاعتماد التام ويستريح قلبه ، وتطمئن نفسه .(١)

ويربط الصوفية بيـن الطمأنينـة والتوكـل ، فيرى حـاتم الأصم (المتوفى عام ٢٣٧هـ) ان بنـاء الأمـر فـى التوكـل ، يكون علـى خصـال أربـع ، منهـا علمـه أن رزقـه لايأكلـه غيره، وبذلك تطئمن نفسه ، فهو يقول حـول هـذا المعنـى : علمت أن رزقى لايأكله غيرى ، فاطمأنت به نفسى"(٢)

ويـرى ابـو تـراب النخشبى أن التوكـل يعنـى طمأنينـة القلب وليس النفس الى الله تعالى ، فهو يقول فى هذا الشأن "التوكل طمأنينة القلب إلى الله عز وجل".(٣)

ولما كان احد معانى الطمأنينة ، السكون وراحة القلـب، فإن سـكون القلـب وراحتـه وزوال الانزعـاج والاضطـراب عنه ، هى أحوال تلحق بالتوكل ، فهو يقول فى هذا المعنـى " مالتنعم إلا فى الإخلاص.(٤) ولاقرة العين إلا فى التقوى ، ولا الراحة إلا فى التسليم .

وعندما يصل الصوفى إلى التوكل والتسـليم ، فـإن قلبـه يطمئن ، ويكون قلبه حاضرا مراقبا له ، واثقا به .

---

(١) راجع قاسم غنى ، تاريخ التصوف فى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة عام ١٩٧٠م ص٥١١.

(٢) انظر ، طبقات الأولياء ، ص ٢٣٧ .

(٣) انظر ، طبقات الصوفية ، ص ٣٥ .

(٤) طبقات الأولياء ، ص ٢٢٥

يقول الكمشخانوى فى هذا الصدد :

"طمأنينة القلب بالحضور والمراقبة ، والثقة بالله فى التوكل والتسليم".(١)

وخلاصة القول :

إن التوكل يكون مجاهدة بترك الأسباب ، ثم يكون مكابدة بالصبر على مرارة تصرفات الأقدار ، ثم يصير حالاً ، ثم يسكن القلب فيه ويذوقه فيصير مقاماً .

وسكون القلب وطمأنينة ، وزوال الإنزعاج والاضطراب ، هى أحوال تلحق بالتوكل، ويقسم القشيرى الناس فى الطمأنينة وراحة القلب إلى اقسام :

فالناس فى الاكتفاء والسكون على أقسام ، ولكل درجة من هذه الأقسام إسم من حيث ارتباط ذلك بالتوكل : فأول رتبة (فى التوكل) أن يكتفى العبد) بما فى يده ، ولايطلب زيادة عليه ، ويستريح قلبه من طلب الزيادة ، وتسمى هذه الحالة قناعة (٢)

ويرى بعض الصوفية أن أعظم راحة للمريد وسروره ونعيمة ، تكون فى الرضا عن الله تعالى فى كل الحالات

---

(١) جامع الأصول ، ٣٥٥.

(٢) لطائف الاشارات ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ .

فيذهب ابن القيم مثلا إلى أنه يجب أن يعلم المريد أن أعظم راحة العبد وسروره ونعيمه فى الدنيا عن ربه تعالى وتقدس ، فى جميع الحالات ، فإن الرضا باب الله الأعظم ، مستراح العارفين ، وجنة الدنيا (١)

ومما يضاد الرضا ، السخط ، والسخط فيما يرى بعض الصوفية ، يثمر الحزن والغم وتشتيت القلب وسوء الحال ، وعلاج السخط يكون بالرضا ، لأنه يخلصه من كل هذه الأمور. يقول ابن القيم فى هذا الشأن "إن الرضا يوجب له (أى للمريد) الطمأنينة وبرد القلب وسكونه وقراره ، والسخط يوجب اضطراب قلبه وريبته وانزعاجه وعدم قراره.(٢)

ولما كان من علامات الطمأنينة ، سكينة القلب واستقراره ، فإن من أعظم أسباب السكينة فيما يرى بعض الصوفية ، الرضا عن الله فى جميع الحالات ،فإذا رحلت السكينة عن المريد ، رحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة وطيب العيش ، وحول هذا المعنى يقول ابن القيم "إذا ترحلت عنه (أى المريد) السكينة . رحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة وطيب العيش ، فمن أعظم نعم الله

---

(١) راجع ، مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣ .
(٢) انظ ، مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣ .

على عبده ، تنزل السكينة عليه ، ومن أعظم اسبابها ، الرضا عنه فى جميع الحالات".(١)

وترتبط الطمأنينة بالرضا كذلك عند صوفية الإسلام ، فالطمأنينة إلى القدر ، وإثباته ، والإيمان به ، يقتضى الطمأنينة إلى مواضع الاقدار التى لم يؤثر العبد بدفعها، ولاقدرة له على دفعها ، فيسلم بها ،ويرضى بها ، ولايسخط ولايشكو ،ولايضطرب إيمانه، فلا يأسى على ما فاته ،ولايفرح بما أتاه؛ لأن المصيبه فيه مقدرة قبل أن تصل إليه ، وقبل ان يخلق، وذلك فيما يقول ابن القيم(٢)

والتوبة عند الصوفية تعنى الرجوع عما كان مذموماً فى الشرع ، إلى ما هو محمود فيه.(٣)

وترتبط الطمأنينة بمقام التوبة ، فالتوبة ، طمأنينة تقابل مافى المعصية من الانزعاج والقلق ، وعلاقة هذه الطمأنينة فيما يرى ابن القيم أن يطمئن المريد من قلق المعصية وانزعاجها إلى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها ، ويسهل عليه ذلك ، بأن يعلم أن اللذة والحلاوة والفرحة ، فى الظفر

---

(١) راجع ، مدارج السالكين ، جـ٢ ،ص ٥٠٣ .
(٢) أنظر، الروح، ص٢٩٦
(٣) انظر الرسالة القشيرية ، ص ٤٩

بالتوبة ، وهذا أمر لايعرفه إلا من ذاق الامرين وباشر قلبه أثارهما .(١)

ويربط بعض الصوفية بين الطمأنينة والفقر ، فيرى الكمشخانوى أن الطمأنينة هى طمأنينة القلب فى الفقر إلى الغنى بالله.(٢)

وعندما اختلف الصوفية ، إيهما أفضل ، الفقر أم الغنى؟ لم يكونوا يفكرون فى الفقر والغنى الماديين ، إذا لاجدال بينهم فى أن الفقر المادى من ألزم صفاتهم، وأن الغنى المادى من الأشياء التى يجب ان يزهدوا فيها ، وإنما الاختلاف فى الفقر والغنى من حيث هما حالتان من حالات النفس ، وفى أى هاتين الحالتين أولى بالصوفى أن يتحقق بها ؟

ويرد الهجويرى على هذا التساؤل ، فيذهب إلى ان الغنى على الإطلاق إنما هو لله وحده ، وإن الفقر صفة ملازمة للعبد ، إذا الغنى الحقيقى هو الغنى عن الأسباب ، ومن كان مصدر الأسباب كلها . وهو الله . كان هو الغنى،

---

(١) راجع ، الروح ، ص ٢٩٦ .

(٢) انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٥٥ .

يصف الله نفسه بأنه (غنى عن العالمين) أى أنه لايفتقر إلى شئ ، وليس معلولاً لشئ. (١)

ويربط بعض الصوفية بين الطمأنينة والفقر ، فيرى الكمشخانوى أن الطمانية هى طمأنينة القلب فى الفقر الى الغنى بالله.(٢)

وعندما اختلف الصوفية ، أيهما افضل : الفقر أم الغنى؟ لم يكونوا يفكرون فى الفقر والغنى الماديين ، إذ لا جدال بينهم فى أن الفقر المادى من الزم صفاتهم ، وان الغنى المادى من الأشياء التى يجب ان يزهدوا فيها ، وإنما الاختلاف فى الفقر والغنى من حيث هما حالتان من حالات النفس ، وفى أى هاتين الحالتين أولى بالصوفى أن يتحقق بها؟

ويرد الهجويرى على هذا التساؤل ، فيذهب إلى أن الغنى على الاطلاق إنما هو لله وحده ، وان الفقر صفة ملازمة للعبد ، إذ الغنى الحقيقى هو الغنى عن الأسباب ، ومن كان مصدر الأسباب كلها ، وهو الله كان هو الغنى ،

---

(٣) راجع ، ابو العلا عفيفى ، التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة عام ١٩٦٣م ص ٣٧٥ .

(٢) انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٥٥ .

يصف الله نفسه بأنه (غنى عن العالمين) أى انه لايفتقر إلى شئ ، وليس معلولا لشئ(١)

(ب) الطمأنينة والأحوال:

أشار بعض الصوفية إلى واردات الأحوال ، والوارد الإلهى عند الصوفية هونفحات الهية، يهب نسيمها على القلوب والأرواح والأسرار ، فتغيب القلوب فى حضرة علام الغيوب ، وتغيب الأرواح فى جبروت العزيز الجبار ، فتطيش فرحا وسرورا.(٢)

ويرى بعض الصوفية أن ثمرة الوارد الصادق السكينة والوقار ، يقول ابن عجيبة الحسنى فى هذا المعنى: ثمرة الوارد الصادق السكينة والوقار ، فإذا ورد عليك وارد ، ولم يترك فيك هذه الخصال ، فلا تزكه ، واتهم نفسك فيه ، لئلا يكون شيطانيا ، فإن الوارد الصادق تعقبه برودة وسكون وزهد وطمأنينة ، فهذه انوار الواردات بعد أن اودعت اسرارها فى قلبك من اليقين ، والطمأنينة والمعرفة.(٣)

---

(١) راجع ، ابو العلا عفيفى ، التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة عام ١٩٦٣م ص ٣٧٥ .

(٢) ايقاظ الهمم ، ص ١٦٠

(٣) ايقاظ الهم ، ص ٣٧٧ .

وللقلب أحوال عند صوفية الإسلام ، أحدها الخوف والأضطراب والقلق من الوارد الذى يقلق ويزعج السالك ويجعله فى حالة من عدم الثبات والتوازن النفسى ، وذلك فى بداية الأحوال .

فإن الخائف إذا طال عليه الخوف ، واشتد به ، واراد الله عز وجل ان يريحه ويحمل عنه انزل عليه السكينة ، واستراح قلبه إلى الرجاء ، واطمأن به ، وسكن لهيب خوفه، يقول الهروى فى هذا المعنى "طمأنينة الخائف إلى الرجاء"(١)

فالطمأنينة ، هى السكون الذى ينزله الله فى قلب عبده، عند اضطرابه من شده المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك ، لما يرد عليه ، ويجب له زيادة الإيمان ، وقوة اليقين ، والثبات فى مواضع القلق والأضطراب.(٢)

والخوف يوجب هروبا الى الله وجمعته عليه وسكونا إليه سبحانه ، فخوف الهارب اليه سبحانه مقرون بالسكينة والطمأنينة والامن .

وحول هذا المعنى يقول ابن القيم :

---

(١) مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٦ .

(٢) مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥٠٣ .

"واما الخوف فإنه يوجب هروبا إلى الله وجمعية عليه وسكونا إليه ، فهى مخافة مقرونة بحلاوة وطمأنينة وسكينة ومحبة"(١)

ولما كان من علامات الطمأنينة الفرح الذى يعترى القلب ، فإن بعض الصوفية اشاروا إلى ارتباط البسط بالفرح والحزن فيرى ابن عجيبة الحسنى ان البسط فرح يعترى القلوب والأرواح ، إما بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله ، او بكشف الحجاب عن اوصاف كماله ،وتجلى ذاته لهم ، أو بغير سبب"(٢)

أما القبض فهو (حزن وضيق يعترى القلب ، إما بسبب فوات مرغوب او عدم حصول مطلوب ، او بغير سبب) (٣)

ويرى ابن عجيبة أن السالك إذا تمكن منه القبض والخوف وسكن تحت قهر الله تعالى اخرجه الله تعالى إلى البسط ، كى لايحترق قلبه ويضطرب ويفقد ثباته وتوازنه النفسى ، فهو يقول للسالك إذا أخذك القبض وتمكن منك الخوف ، وسكنت تحت قهره ، وانست بأمره ، أخرجك إلى البسط ، لئلا يحترق قلبك ، ويذوب جسمك (٤)

---

(١) ابن القيم : طريق التجريبة وباب لصاديقين ،. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان - بدون تاريخ ص ٢٨٤
(٢) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .
(٣) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .
(٤) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .

وللقبض والبسط آداب عند الصوفية ، فمن أداب القبض ، الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجارى الأقدار والرجوع إلى الواحد القهار ، فإن القبض شبيه بالليل ، والبسط شبيه بالنهار.(١) ومن شأن الليل الرقاد والهدوء والسكون .

ومن آداب البسط "كف الجوارح عن الطغيان وخصوصا جارحة اللسان".(٢)

فإذا أحس المريد بالبسط ، فليلجم نفسه بلجام الصمت ، وليتحل بحلية السكينة والوقار"(٣)

ولايقف على حدود الأدب فى البسط الا القليل وهم اهل الطمأنينة والتمكن ، لأنهم كالجبال الرواسى ، لايحركهم قبض ولابسط.(٤)

ويربط صوفية الإسلام بين الطمأنينة والشوق ، فيرى الكمشخانوى أن هناك درجة من درجات الطمأنينة ، هى طمأنينة السر ، فى الشوق إلى عدة اللقاء (أى الوعد باللقاء).(٥)

---

(١) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .
(٢) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .
(٣) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .
(٤) ايقاظ الهم ، ص ١٦٠ .
(٥) جامع الأصول ، ص ٣٥٥ .

فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية ، وإن كان فى غاية الوضوح ، فكأنه من وراء ستر رقيق ، فلا يكون متضحا غاية الاتضاح ، بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات، فإن الخيالات لاتفترح فى هذا العالم عن التمثيل والمحاكاه لجميع المعلومات ، وهى مكدرات للمعارف ومنغصات ، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا ، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلى ، ولايكون ذلك الا فى الآخرة ، وذلك بالضرورة يوجب الشوق .

وهذا الشوق ينتهى بالمعنى الذى يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولايتصور أن يسكن فى الدنيا.

وقد كان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين ، فقال "قلت ذات يوم : يارب ان اعطيت احد من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك ، فأعطنى ذلك ، فقد أضر بى القلق ، قال: فرأيت فى النوم أنه اوقفنى بين يديه وقال : يا ابراهيم اما استحييت منى أن اعطيك مايسكن به قلبك قبل لقائى ، وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ؟

ويرتبط حال الحب بالطمأنينة عند صوفية الإسلام ، فكل من اقتحم الأمور الصعاب فى محبة الحبيب وهو الله تعالى ، سهلت عليه هذه الأمور الصعاب ، ودخل عليه السرور والراحة والطمأنينة فى قلبه ، حتى أنه اذا كان حزينا فإنه يسر وهذه الأمور الصعاب هى مجاهدة النفس

بالطاعات والعبادات ، والبعد عن الغفلة عن ذكر الله ، وحول هذا المعنى يقول عمر بن الفارض شعراً .

أى من وافى حزينا حزنها

سر ، لوروح سرى مسراى(١)

وينصح ابن الفارض احد مريديه ، بخلو قلبه من الحب ، لأن الحب تعب وعناء ، فالحب فى راحته تعب وفى تعبه راحة وطمأنينة واستقرار نفسى فهو يقول لمريده :

واعش خاليا فالحب راحته عناء فأوله سقم وآخره قتل(٢)

والحب إذا دخل إلى قلب السالك ، أوجب له الاضطراب وعدم السكون وعدم الطمأنينة ، ولذلك فإن ابن الفارض مثلاً يحذر أحد مريديه من التعرض الى مشاهدة وجه الحبيب وهو الله تعالى ، لأنه لايقدر على حبه وعشقه، وعليه ان يصبر حتى يكشف الله له عن وجهه الكريم ، ويرفع عنه حجاب الصور المحسوسة والمعقولة ، لأن نوره زائد الظهور ، فيتحير الحس والعقل فى ذلك ولايقدر على مشاهدة عين الوجود الحق فى الحس والعقل ، واستمع الى ابن الفارض وهو ينصح مريده قائلا :

---

(١) شرح ديوان ابن الفارض ، جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٢) شرح ديوان ابن الفارض ، جـ٢ ، ص ٩ .

يا ساكن القلب لاتنظر الى سكنى

وارح فؤادك وانظر فتنه الدعج.(١)

والطمأنينة والثبات والراحة النفسية تكون ثمرة القرب من الله تعالى فيما يرى الصوفية ، ولذلك يجب على السالك بذل الروح للحصول على الطمأنينة وهدوء البال والراحة النفسية الحاصلة من القرب من الله تعالى ، وحول هذا المعنى يقول عمر بن الفارض شعراً :

بذلت روحى لراحة قربه

وغير عجيب بذل الغال فى الغال(٢)

ويرتبط حال الأنس بالطمأنينة عند صوفية الإسلام ، فقد سئل ابو سعيد الخراز عن الأنس : ماهو؟ فقال " استبشار القلوب بقرب الله تعالى ، وسرورها وهدوؤها فى سكونها إليه ، وامنها معه من حيث الروعات.(٣)

ويرى بعض الصوفية ان الاستراحة فى الطمأنينة تكون بزيادة حال الانس بالله ، أى ان الانس فوق الشعور بالأمن وعدم الخوف ، يقول ابن القيم حول هذا المعنى :

---

(١) شرح ديوان ابن الفارض ، جـ ٢ ، ص ٦٩ . والدعج فى اللغة : شدة بياض العين مع شدة سوادها ، انظر ، المصباح المنير ، مادة دعج .

(٢) شرح ديوان عمر بن الفارض ، جـ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) انظر ، طبقات الصوفية ، ص ٥٤ .

"الاستراحة فى منزل الطمأنينة ، تكون مع زيادة انس ، وذلك فوق مجرد الأمن ، وقدر زائد عليه".(١)

ويشير صوفية الإسلام الى أنه اذا سكن قلب العبد الى الله تعالى واطمأن إليه ، فإن حالة السكون او الطمأنينة تقوى ، حتى ان الغير يأنس به ، يقول سهل بن عبد الله التسترى حول هذا المعنى :

"إذا سكن قلب العبد الى مولاه ، واطمأن إليه ، قويت حال العبد ، فإذا قويت ، انس بالعبد كل شئ".(٢)

---

(١) انظر مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٤ .

(٢) مدخل الى التصوف الإسلامى ، ص ١٦١ .

خامساً

ارتباط العلمانية بالمعرفة

خامساً

ارتباط الطمأنينة بالمعرفة

(أ) تمهيد

(ب) الطمانينة ومنهج المعرفة

(جـ) الطمانينة واداة المعرفة

(د) الطمانينة وموضوع المعرفة

خامساً

ارتباط الطمأنينة بالمعرفة

(أ) تمهيد :

تحدثنا فيما سبق عن ارتباط الطمأنينة بالمقامات مثل الصبر والشكر والتوكل والرضا والتفويض والتسليم ، ثم تكلمنا عن ارتباط الطمأنينة بالأحوال مثل الحب ، والخوف، والقبض، والبسط ، والشوق ، والقرب والأنس .

وسوف نتحدث هنا عن ارتباط الطمأنينة بالمعرفة ، فنوضح ارتباط الطمأنينة بمنهج المعرفة ، واداة المعرفة ، وموضوع المعرفة .

(ب) الطمأنينة ومنهج المعرفة :

المنهج الذى تعتمد عليه المعرفة الإلهية عند صوفية الإسلام ، هو "الكشف"(١) وهو ادراك وجدانى مباشر ، يختلف عن الإدراك الحسى أو العقلى المباشر .

---

(١) الكشف عند الصوفية : هو الاطلاع على ماوراء الحجاب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية ، وجودا وشهودا ، انظر التعريفات للجرجانى ، ص ١٦٢ .

ولقد تعددت الأسماء للطريقة التى تتم بها المعرفة عند الصوفية ، فهم يطلقون عليها احيانا، الكشف واحيانا اخرى البصيرة.(١) ، فى مقابل الحس والعقل والتحليل .

والبصيرة ليست حاسة من الحواس الظاهرة ، ولا عقلا يعتمد على التحليل والتركيب ، والاستدلال ولكنها شئ آخر اسمى وارقى من الحواس الظاهرة والعقل ، فهى حس باطنى روحى، يرى المعانى اللطيفة والصفات الإلهية ، اما البصر فإنه يرى المحسوسات .

ويستخدم برجسون إسم (الحدس) للتعبير عن منهج الكشف الصوفى ، وهو يوضح هذا المنهج عند الصوفية بقوله "إن ماهو مطلق ، لايمكن أن ينكشف لنا الا عن طريق الحدس ، واما كل ماعداه فهو وليد التحليل ، ونحن نطلق هنا لفظ الحدس ، على تلك المشاركة الوجدانية التى بمقتضاها تنفذ إلى باطن أى موضوع ، لكى نتطابق مع مافى ذلك الموضوع من أصالة فريدة ، وبالتالى ، مع مافيه من فرديه لايمكن التعبير عنها ، وعلى العكس عن ذلك ،

---

(١) البصيرة عند الصوفية : قوة للقلب المنور بنور القدس ، يرى بها دقائق الأشياء وبواطنها ، انظر التعريفات للجرجانى ، ص ٣٩ .

نجد أن التحليل : هو تلك العملية التى ترجع الموضوع إلى عناصر معروفة من ذى قبل"(١)

أما برترند رسل ، فإنه يذهب الى القول بإن البصيرة ليست حقيقية ، وأن هذه البصيرة لاشاهد عليها، وغير مدعمة ، مما يجعل منها ضمانا غير كاف للصدق ، وذلك على الرغم من ان معظم ماهو اكثر الأشياء صدقا وهذه حقيقة قد اوحته الينا هذه البصيرة.(٢)

وموقف رسل هنا لعبد البصيرة او الحس الوجدانى – كمنهج للمعرفة الكشفية ، غير سليم من الناحية العلمية ، وذلك لأن الادراك الصوفى إدراك ذاتى ، ولايمكن ان يكون متصفا بالعمومية ، ولكى يحكم الباحث على هذا النوع من الإدراك حكما علميا ، لابد له من ان يقوم بتجريبه وبعبارة أخرى لابد له ان يتصوف حقا ، حتى يتهيئا له مثيل هذا الإدراك الخاص.(٣)

والمقصود بالبصيرة أو الكشف عند الصوفية الكشف عن المطلوب المقصود بالسير ، وهو معرفة الأسماء

---

(1) Bergeson (H) " La pensie et mauvant " paris 1946 : ch. VI : introduction à la

(٢) انظر ، أبو الوفا التفتازانى الاستاذ الدكتور نظرة إلى الكشف الصوفى ، بحث نشر بمجلة الفكر المعاصر ، العدد الرابع والثلاثون ديسمبر ١٩٦٧ ، ص ٣٦ .

(٣) انظر ، ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه ، ص ٢٣٥ .

والصفات ، ومعرفة نوعى التوحيد وتفاصيله ، فيما يرى ابن القيم.(١)

هذا وسوف نتكلم عن معرفة الأسماء والصفات اثناء الحديث عن (موضوع المعرفة)، اما عن معرفة نوعى التوحيد وتفاصيله ، فالنوع الأول من التوحيد ، هو التوحيد الذى جاء به الرسل ، وفيما يلى نتحدث عن النوع الثانى من التوحيد ، وهو التوحيد الذى يثبت بالحقائق.(٢) ، ويريد الصوفية "بالحقائق المكاشفة المشاهدة والمعاينة"(٣) وهذا التوحيد هو توحيد الخاصة من الصوفية ، الذى لايستند إلى دليل من العقل ، فيكون الصوفى السالك ، "مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه ، ووضعه الأشياء فى مواضعها ، وتعليقه إياها بأحايينها ، وإخفائه إياها فى رسومها. (٤)

وهذا التوحيد ثمرته الفناء ، او مايسميه الصوفية (الفناء فى التوحيد).

وبالجملة ، فالصوفية اثناء التوحيد، يشهدون صدور الكائنات ،والأوامر والنواهى عن الله تعالى.

---

(١) راجع . مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ .
(٢) راجع . مدارج السالكين ،جـ ٣ ،ص ٣٥٨.
(٣) راجع مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٣٥٩ .
(٤) مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ .

وقد يريد الصوفية بالكشف كذلك ، كشف العيان، وهو أن يصير المعلوم مشاهدا للقلب.(١)

ويرى ابن القيم أنه من ظن أن كشف العيان ظهور الذات الإلهية العيانية حقيقة ، فقد أخطأ فإن هذا لم يقع فى الدنيا لبشر ، وقد منع منه موسى صلى الله عليه وسلم.(٢)

ويربط الصوفية بين الطمأنينة والكشف كمنهج للمعرفة، يقول الكمشخانوى فى هذا الصدد "طمأنينة القلب فى القصد إلى الكشف وطمأنينة القلب ، أن يطمئن فىحال قصده ، ولا يلتفت إلى ما وراءه ، والمراد بالكشف هنا فيما يرى أبن القيم "كشف الحقيقة ، لاالكشف الجزئى السفلى".(٣)

ويريد الصوفية بالكشف هنا ، كشف العيان القلبى عن الحقيقة الإلهية ، بحيث يصير الرب سبحانه وتعالى ، كأنه مرئى للسالك . ويذكر بعض الصوفية عشر حجب تحول بين السالك والكشف. وهذه الحجب مصدرها النفس والشيطان والدنيا والهوى ، ولايمكن كشف الحجب مع بقاء مصادرها ، فى القلب ، وهذه الحجب تفسد القول والعمل والقصد ان يصل الى القلب ، ومايصل منها إلى القلب يقطع عليه الطريق ان يصل الى الرب.

---

(١) مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص ٣٥٨ .
(٢) مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ .
(٣) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٥١٧ .

وهذه الحجب هى الأول : حجاب التعطيل ونفى حقائق الأسماء والصفات او هو اغلظها، فلايتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله ،ولايصل اليه البته .

الثانى : حجاب الشرك ، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله .

الثالث : حجاب البدعة القولية ، كحجاب أهل الأهواء والمقالات الفاسدة على اختلافها.

الرابع : حاب البدعة العملية، كحجاب اهل السلوك المتبدعين فى طريقهم وسلوكهم .

الخامس : حجاب اهل الكبائر الباطنة كحجاب اهل الكبر والعجب .

السادس : حجاب أهل الكبائر .

السابع . حجاب أهل الصغائر .

الثامن : حجاب أهل الفضلات ، والتوسع فى المباحات .

التاسع : حجاب أهل الغفلة .

العاشر : حجاب المجتهدين السالكين المثمرين فى السير عن المقصود.(١)

ولابد للسالك كى يكشف هذه الحجب التى تمنع السالك من المعرفة الإلهية ، أن يحاربها، بكل انواعها ، فيحارب الدنيا بالزهد فيها ، واخراجها من قلبه ، ولايضره أن تكون

---

(١) راجع مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص ١٦٢ .

فـى يـده وبينـه ،ولا يمنـع ذلـك مـن قـوة يقينـه بـالآخرة ، ويحـارب الشيطان بـترك الاستجابة لداعـى الهـوى: فـإن الشيطان مع الهوى لايفارقه . ويحارب الهوى بتحكيم الأمر المطلق ، والوقوف معه ، بحيث لايبقى له هوى فيما يفعلـه ويتركه . ويحارب النفس بقوة الاخلاص .(١)

ولايجب على العارف فيمـا يـرى الصوفيـة، أن يفضـل الفناء على البقاء ، بل إنه على العكس من ذلك ، ينبغـى أن يخرج من حال الفناء او الجمـع أو المحـو او السـكر ، الـى الفـرق أو الاثبـات او الصحـو ، لأن الـذى يبقـى فـى حـال الفناء، لايستطيع أن يمـارس الرياضـات العمليـة والعبـادات والطاعـات والفضـائل ، فعلـى السـالك أن يعـود إلـى البقـاء والتفرقة بعد الفناء ، ليقوم بأداء أوامر الشريعة، مـع الجمـع على الله تعالى ، وهوعند الصوفية الانسلاخ عن كل وجـود غير وجود الله تعالى ، أما التفرقة ، فهى العودة إلى الفـرق بعد الجمع والفناء وبذلك يستقر العارف فى مقام الطمأنينة .

وخلاصـة القـول : إن الصوفيـة يـرون أن العـارف إذا وصـل الـى نهايـة الطريـق الصوفـى ، وتحقـق بالمعرفـة الإلهية، فإنه يكون قد تحقق بمقام الجمع والفناء والمحو ، ثم تحقق بالفرق الذى هو الإثبات والصحو والبقاء ، فـلا فرقـه

---

(١) مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص ١٦٢ .

يحجبه عن جمعه ، يقول الكمشخانوى حول هذا المعنى فى أحد معانى الطمأنينة:

"طمأنينة الروح فى التفرقة إلى الجمع"(١)

ويحلل المرحوم الدكتور محمد مصطفى حلمى هذا المعنى ، فيرى أنه تتعاقب علىنفس السالك حالتا الجمع والتفرقة ، فيلوح له لائح الجمع تارة ويختفى اخرى ، ومايزال السالك مترددابين هاتين ، إلى أن يستقر فى حال الجمع ويتمكن فيه بحيث لايفارقه ابدا ، وبحيث لونظر بعين التفرقة إلى الخلق لماسلب نظر الجمع إلى الحق ولو نظر بعين الجمع إلى الحق، لما فقد نظر التفرقة الى الخلق.(٢)

ويرى نيكلسون أن الكمال الأعلى للحياة الصوفية ، ليس فى الفناء ، ولافى الظواهر الانفعالية التى تسبقه او تصاحبه ، فاللاشعور المطلق غير مفيد ، شأنه شأن النوم العميق ، فالعبد الذى لايشعر بشئ ، ولايعرف شيئا ، لايستفيد شيئا لنفسه ولا لغيره ، ولهذا فإنه عند تساوى الظروف أى أذا وصل صوفيان الى نفس الدرجة من الكمال ، فمن يخرج من الفناء ، افضل ممن لايخرج منه ، لأن هذا الاخير لايمكنه ان يتم كمالاته الخاصة بممارسة

---

(١) جامع الأصول : الكمشخانوى ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابن الفارض والحب الإلهى ، ص ٢١٠ .

فضـائل جديـدة أعلـى ، ولا أن يعـاون بواسـطة القـدوة والوعظ، على إصلاح احوال الناس.(١)

وفى هذا الجمع تسـقط التفرقـة ، وتنقطـع الأشـارة عنـد كمال الجمعية على الله ، فلا يبقى فى صاحب هذه الجمعيـة موضع للإشارة لأن جمعيتـه علـى المطلـوب المـراد غيبتـه عن الإشارة إليه ، وافنته عـن نفسـه واشـارته . ففـى الفنـاء تنقطع الاشارة لأنها من أحكام البشرية .

وخلاصة القول : إن الجمع عند الصوفية هو (شخوص البصيرة الى من صدرت عنه المتفرقات كلها.(٢)

ويرى بعض الصوفية أن هناك نوعا من الطمأنينة التى تحدث عندما تطمئن روح السالك فى حالة الجمع علـى اللـه الى البقاء ، فيذهب ابن القيم الى ان حضـرة (الجمـع) تنفـى الاثار ، وتمحـو الخلـق ، فـيرى الحـق سبحانه وحـده قائمـا بذاته ، ويرى كل شئ قائما به ، متوحدا فـى كـثرة اسـمائه وافعاله وصفاته ، ولايرى معه غيره ولايشهده .

---

(1) (2) The mystics of Islam . P. 140 .

(٢) مدارج السالكين : جـ٣ ، ص ٣٦٨ ، والجمع : إشارة الى حق بلا خلق ، أما الفرق : فهو إشارة : الى خلق بلا حق . نظر التعريفات للجرجانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة عام ١٩٣٨م ، ص ٢٣٦ .

كما يرى ابن القيم ان صاحب هذا الشهود فى مقام الفناء ، وانه اذا لم ينتقل منه إلى مقام البقاء ، فإنه سوف ينقطع انقطاعا كليا .

وخلاصة الأمر : إن الصوفى فى حال الجمع أو الفناء، إن لم يطئمن الى حصول البقاء فإنه يكون قد عطل الأمر ، وخلع ربقة العبودية من عنقه . أما إذا اطمأن الى البقاء طمأنينة من يعلم أنه لابد له منه ، وإن لم يصحبه ، والا فسد وهلك ، كان هذا من طمأنينة الجمع إلى البقاء.(١) وحول هذا المعنى يقول الهروى فى أحد معانى الطمأنينة ، "طمأنينة الروح فى الجمع الى البقاء".

وبالجملة : فإن السالك اذا تحقق بالبقاء ، رده الله تعالى إلى الخلق ، فينفع الناس ، ويهتدى به من يريد ان يسلك طريق الحق .

واثناء شهود الاحدية يذهب بعض الصوفية الى أن الواصل الى هذا الشهود الذاتى لله قلبيا، يشهد الأفعال الإلهية ، وهذا يكون اول مراتب الشهود ، ثم بعد ذلك يشهد أسماء الله تعالى وصفاته ، واخيرا يشهد الذات الإلهية الجامعة للأفعال والأسماء والصفات ، شهودا قلبيا.

---

(١) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٥٢٠ .

والتجلى عند الصوفية بحسب هذه الشهود الثلاثة ، فأصحاب تجلى الأفعال ، شهدهم توحيد الألهية ، واصحاب تجلى الأسماء والصفات ، مشهدهم توحيد الربوبية. واصحاب تجلى الذات. يفنيهم به عنهم .(١)

ويرى ابن القيم انه قد يعرض لبعض اصحاب تجلى الذات عجز عن القيام والحركة، فربما عطل بعض الفروض .

كما يرى أنه أكمل من هؤلاء ، من يقوم بأداء الفروض والسنن والأوراد والعبادات.

ومن كل ماتقدم ، يرى ابن القيم أنه اولا طمأنينة السالك الى لطف الله ، لمحقه شهود الله وأفناه جملة ، ويضرب مثلاً لذلك بقصة موسى والجبل ، فهو يقول حول هذا المعنى :

"فقد خر موسى صعقا ، لما تجلى ربه للجبل ، وتدكدك الجبل ، وساح فى الأرض من تجليه سبحانه.(٢)

ويسمى السالك المتحقق بالمعرفة واصلاً ، ولايتحقق السالك بالمعرفة الإلهية إلا إذا كان نافذ البصيرة ، يشهد

---

(١) راجع ، مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٥١٩ .

(٢) راجع ، مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٥١٩.

الحادثات كلها من الله تعالى ، وحينئذ يصل الى الثبات النفسي والطمأنينة، وحول هذا المعنى يقول القشيرى .

"الثبات إنما يكون بقوة القلب ، وشدة اليقين ولايكون ذلك إلا لنفاذ البصيرة . والتحقق بالله (أى بالمعرفة الالهية) وشهود الحادثات كلها منه.(١)

(جـ) الطمأنينة وموضوع المعرفة :

موضوع المعرفة عند صوفية الإسلام هو الذات الإلهية من حيث صفاتها واسمائها وافعالها، وسائر مايتعلق بذلك.

وترتبط الطمأنينة بموضوع المعرفة عند الصوفية ، فإن القلب أو الروح ، تطئمن الى التمكن.(٢) عن طريق الاتصاف بالصفات الإلهية.(٣)

ويرى الهروى أن التمكن أعلى من الطمأنينة ، وهو يشير إلى غاية الآستقرار والتوافق النفسي فيقول الهروى فى هذا المعنى :

"التمكن فوق الطمأنينة ، وهو الإشارة إلى غاية الاستقرار"(٤)

---

(١) انظر لطائف الاشارات ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣.

(٢) التمكن فى اصطلاح الصوفية هو : مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة ، انظر التعريفات للجرجانى، ص٥٩.

(٣) جامع الأصول . ص ٣٥٥.

(٤) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

كما يذهب الهروى كذلك إلى أن الطمأنينة يكون فيها نوع من المنازعة ، فيطمئن القلب إلى مايسكنه ، وقد يتمكن فيه ، وقد لايتمكن ، ولذلك فإن التمكن هو غاية الاستقرار.(١)

وصفوة القول : إن الطمأنينة تكون نتيجتها التمكن ، فالتمكن أعلى من الطمأنينة ، ولاتتمكن الروح ولاتطمئن الا إذا اتصفت بالصفات الالهية.

ولكن لايظن أحد أن هذه المشاركة فى الاتصاف بالصفات الإلهية توجب المماثلة ، فإن مشاركة الإنسان لله تعالى فى صفات مثل الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام تجعله نموذجا للحق تعالى ، فالله موجود فى غير محل، ولايحده مكان ولازمان ، ولذلك ينبه الغزالى تلميذه بقوله فى هذا الشأن.

"لاتظن ان المشاركةبكل وصف ، يوجب المماثلة ، هيهات ، ألم تعلم ان الله موجود لافى محل ، وان الله تعالى حى ، عالم ، قدير ، مريد ،سميع ، بصير ، متكلم ، فاعل ، والانسان كذلك ايضا ، فترى ان مثبت هذه الأوصاف للإنسان يكون مشبها ممثلا ، هيهات ليس الأمر كذلك. المماثلة عبارة عن المشاركة فى النوع والماهية ،

---

(١) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

والخاصية الإلهية أنه الموجود الواجب الوجود بذاته ، الذى بقدرته يوجد ، كما فى الإمكان وجوده على أحسن وجوه النظام والكمال ، وهذه الخاصية لايتصور فيها مشاركه ولامماثلة البته ، بل لايعرفها حقيقة إلا الله تعالى.(١)

ويقتضى الاتصاف بالصفات الإلهية ، التخلق بمعنى كل اسم وصفة لله تعالى ، وهو أن يقوم بالعبد معنى هذا الإسم او تلك الصفة ، فيكتسب هذه الصفات ، ويجعلها خلقا له .

ويذهب بعض الصوفية أن العارف فى حالة التعرف على حقيقة الأسماء والصفات الإلهية، يمر بمراحل متصلة شعوريا ، وهى أنه حين التخلق بصفات الله تعالى ، يستعظم الصوفى ماينكشف له من تلك الصفات ، ليتقرب بها من الله ، قربا بالصفة ، فيمتلئ قلبه باستعظام هذه الصفات وهذا الاستعظام يتبعه شوق الى تلك الصفات ، وحرص على التخلق بها ، يقول ابو مدين المغربى فى هذا المعنى :

"التخلق ان يقوم بك معنى الاسم"(٢)

---

(١) [illegible] ، روضة الطالبين ، ص ١٩٣ .
(٢) ابن قنفذ القسنطينى ، أنس الفقير ، نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة ، رقم ٣٠٣ مجاميع ، ورقة ٤١(أ)

وبالجملة : فإنه يجب على المريد الاتصاف بصفات الله تعالى ، حتى يتحقق بالثبات والاستقرار النفسى ، وذلك بأن يتخلى عن الصفات التى فيها حظوظ النفس ، ويتحلى بأضدادها، مما يليق بوصفه هو فى علاقته مع الله تعالى ، فيكون مع اللـه بالافتقار لابالغنى ، وبالذل لا بالعز ، وبالضعف لا بالقوة ، وهكذا فى جميع الصفات الإلهية .

(د) الطمأنينة وأداة المعرفة :

يعتبر القلب.(١) اداة المعرفة عند صوفية الاسلام ، وهم يربطون بين الطمأنينة والقلب ، فيذهب بعض الصوفية إلى ان القلب تشرق عليه الواردات الإلهية .(٢) حتى يسكن ويطمئن ويستقر نفسيا ،وحينئذ يسمى روحا . (٣)

والثبات النفسى فيما يرى صوفية الإسلام ، إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين ، ولايكون ذلك إلا لنفاذ البصيرة ، والتحقق بالله وشهود الحادثات كلها منه.(٤)

---

(١) القلب جوهر نورانى مجرد ، يتوسط بين الروح والنفس الناطقة ، انظر القاشانى ، اصطلاحات الصوفية، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٨١ ، ص ١٤٥ .

(٢) الوارد فى اصطلاح الصوفية ، هو كل مايرد على القلب من المعانى ، من غير تعمل العبد ، انظر اصطلاحات الصوفية . ص ٤٧ .

(٣) انظر ايقاظ الهمم ، ص ٢٧٧ .

(٤) لطائف الاشارات ، جـ٢ ، ص ٣٢٣.

وبالجملة فإن من المريدين من تغلب عليه السكينة فى القلب ، لأن العلم واليقين يوجب له السكون والطمأنينة ، فمن ازدادت معرفته ، ازدادت سكينته .

ويذهب ابن عجيبة الحسنى الى ان القلب إذا تقلب بين الغفلة والحضور فإنه يسمى قلباً، أما إذا استراح واطمأن واستقر نفسيا بالوصول إلى التحقق بالمعرفة الإلهية ، فإنه يسمى روحاً.

واما إذا تمكن وتصفى وصار سرا من اسرار الله تعالى ، سمى سراً ، وحول هذا المعنى يقول الحسنى :

"إن الروح مادامت تتقلب بين الغفلة والحضرة ، كانت فى حضرة القلوب ، فإذا استراحت بالوصال سميت روحا ، وكانت فى حضرة الأوراح ، وإذا تمكنت وتصفت ، وصارت سرا من اسرار الله ، سميت سرا ، وكانت فى حضرة الاسرار.(١)

---

(١) انظر ، ايقاظ الهمم ، ص ١: .

خاتمة البحث

خاتمة البحث

نلخص فى هذه الخاتمة أهم نتائج البحث ا لتى انتهينا اليها وهى:

اولاً :

(أ) ان بعض الصوفية يعبرون عن الطمأنينة بأنه سكون القلب وراحته ، وهى لاتكون إلا فى نهاية الطريق الصوفى ، اما فى بداية الطريق الصوفى ، فإن الصوفية يعانون صراعا نفسيا . وعدم استقرار او ثبات.

(ب) وقد يعبر بعض الصوفية عن الطمأنينة بالفرح ، وهو يعنى عندهم شهود الله تعالى فى حركاتهم وسكناتهم .

(جـ) ويعبر بعض الصوفية عن الطمأنينة ايضا . السكينة ، وهى الطمأنينة والوقار والسكون الذى ينزله فى قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلاينزعج بعد ذلك لما يرد عليه .

(د) ويعنى بعض الصوفية كذلك بالطمأنينة ، الإخبات ، يقول ابن عربى فى هذا المعنى : من الأولياء - ايضا - المخبتون - من رجال ونساء - رضى الله عنهم - تولاهم الله بالإخبات وهو الطمأنينة .

(هـ) وقد يعنى بعض الصوفية بالطمأنينة كذلك اليقين ،
يقول ابن عجيبة الحسنى .
"اليقين : هو سكون القلب وطمأنينته .

ثانياً : ترتبط الطمأنينة بمجاهدة النفس من الناحية الأخلاقية.

(أ) فالصوفية يرون أن النفس من اصدقاء السوء بالنسبة للمريد ، فإذا اهتم المريد بنفسه ، فإنه لن يجد الطمأنينة والثبات والاستقرار النفسى ، أما إذا قهر المريد دواعى الشهوات النفسية والبدنية ، أو ضبطها ، حدث لـه نوع من التوافق النفسى والثبات والاستقرار والشعور بالراحة النفسية العميقة التى يتحقق معها سعادته .

(ب) ويربط صوفية الإسلام بين الطمأنينة والاخلاق المحمودة ، فأصل الطمأنينة عندهم،طمأنينة القلب الى التخلق بأخلاق الحق .

ومن الاخلاق المحمودة عند الصوفية ، الصدق ، فهم يرون ان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة ، ومعنى ذلك أن الصدق يطمئن اليه قلب السالك للطريق الصوفى ، ويجدعنده سكونا إليه . وأما الكذب فيوجب لـه اضطرابا وقلقا نفسيا.

ولما كان اليقين احد معانى الطمأنينة ، فإن الصوفية ينبهون أن للقلب أمراض مثل الغيظ والغم والحزن ، والشك، وكل هذه الأمراض القلبية تحدث فى القلب آلاما ، فالشاك مثلاً تحدث له آلاما وحزنا وقلقا واضطرابا حتى يحصل له اليقين والطمأنينة .

وكذلك يكون الجود والسخاء وعدم البخل وترك الاشتغال بالمال من الاخلاق المحمودة، فالمريد إذا جاد بنفسه لله ، اورثه قلبه الهدى والتقى ، واعطى السكينة والوقار والطمأنينة والاستقرار النفسى .

ومن الأخلاق المحمودة كذلك عند الصوفية الورع ، وهو ترك المتشابه والحرام ، وهو يرتبط بالطمأنينة بمعناه الخاص وهو رؤية الله تعالى فى كل حركات المريد وسكناته ، حتى إذا رأى المريد الله تعالى ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله تعالى .

وخلاصة القول : إن المريد إذا اطمأن ، بالتخلى عن الأخلاق المذمومة كالرياء والكذب والخيانة والغفلة والفجر والفتور والعجب ، والتحلى بما يضاد تلك ، من الاخلاق المحمودة كالصدق والاخلاص والتوبة والعلم واليقين وما إلى ذلك ، فقد باشر روح الطمأنينة.

ثالثاً : اما عن ارتباط الطمأنينة بالرياضات الروحية العملية كالذكر والسماع ، والعزلة وغيرها

عند صوفية الإسلام ، فإنهم يذهبون إلى أن النفس لاتطمئن إلا بذكر الله تعالى، فإذا ذكر المريد الله تعالى ، فإنه يطمئن قلبه إلى الله ، أما إذا اضطرب قلبه ، فليس له مايطئمن به سوى ذكر الله .

والطمأنينة عند صوفية الإسلام تعنى الاستراحة مع الله، بترويح القلب بذكره .

وكذلك العزلة ، فهى من الرياضات الروحية العملية عند صوفية الإسلام ، وهى تعنى اعتزال الناس فيما يرى بعض الصوفية ، فنحن نجد سرى السقطى مثلا يوصى مريده باعتزال الناس ، والباعث على العزلة فيما يرى السقطى أنها تريح قلب المريد ، وبها يسلم دينه ويطمئن قلبه.

وعلى الجملة : فإن سرى السقطى يعنى بالعزلة عدم الاختلاط بالاشرار والحمقى من الناس .

والسماع ايضا ، من الرياضات الروحية العملية عند الصوفية ، وهو يعنى انتباه القلب الى مايحمد شرعا ، فالمريدون يجب عليهم استماع القول الذى اثنى الله عليه وامر باستماعه والسماع يثمر فى القلب حالة تسمى الوجد ،

والوجد عند الصوفية يوجد عقيب السماع ، ومن علامة الوجد ، طمأنينة القلب ، والخشية .

وللسماع آداب عند الصوفية ، منها أن يكون المريد حاضر القلب ، ومستغرق القلب ، متماسكا عن التصفيق والرق وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة . ويرى صوفية الإسلام أنه رب ساكن أتم وجدا من المضطرب.

والسماع وارد من الواردات الإلهية ، وهذا يعنى ان المريدين المبتدئين فى الطريق الصوفى ، تضطرب قلوبهم عند سماع الواردات الإلهية ، وهذا يعنى أن المريدين المبتدئين فى الطريق الصوفى ، تضطرب قلوبهم عند سماع الواردات الإلهية ، أما استمرار السماع بالنسبة للمبتدئين فإن قلوبهم تتحمله ، حتى يتمكنون من السماع ، فتستقر قلوبهم وتطمئن ويحدث لهم التوافق والاستقرار والثبات النفسى .

رابعاً : واما عن صلة الطمأنينة بالمقامات والاحوال :

فالزهد من المقامات عند الصوفية ، ولما كان احد معانى الطمأنينة هى سكون القلب بعد اضطرابه ، فإن الزهد هو سكون القلب حتى يذوق حلاوة هذا الزهد ، فإذا سكن القلب فى معنى الزهد صار مقاما ، وصار القلب

مطمئنا ويصير فى حالة من الاستقرار والثبات والتوافق النفسى .

ويربط صوفية الإسلام بين الطمأنينة والشكر ، فيرى ابن القيم مثلا أن المبتلى إذا قويت ملاحظته للثواب ، سكن قلبه واطمأن .

والتوكل عند صوفية الاسلام يعنى تعلق القلب بالله ، والطمأنينة الى كفايته واستناده اليه وسكونه بحيث لايبقى فيه اضطراب أو حركة ، وهذا يعنى أن طمأنينة القلب تكون بالثقة بالله فى التوكل ، فإذا بلغ المريد هذا القدر ، حصل له الاعتماد التام على الله ، فيستريح قلبه وتطمئن نفسه .

ولما كان احد معانى الطمأنينة السكون وراحة القلب ، فإن سكون القلب وراحته وزوال الاضطراب عنه هى احوال تلحق بالتوكل .

ولما كان مقام التوكل يرتبط بالتفويض والتسليم ، فإن بعض الصوفية يربطون بين الطمأنينة والتسليم مثلا ، فالطمأنينة عندهم فى تسليم كل الأمور إلى الله .

وعندما يصل الصوفى الى التوكل والتسليم ، فإن قلبه يطئمن ، ويكون قلبه مراقبا لله، واثقا به .

والرضا مقام من مقامات الطريق الصوفى ، ويرى بعض الصوفية أن الرضا يرتبط بالطمأنية ، من حيث أن

الرضا أعظم راحة لقلب المريد ، فهو يبعث على طمأنينة القلب وراحته وهدوء البال ، والثبات والاستقرار النفسى .

وعلى العكس من الرضا ، السخط فيما يرى صوفية الإسلام ، فإنه يثمر الحزن والغم وتشتت القلب واضطرابه، وعلاج السخط عندهم يكون بالرضا ، لأنه يخلصه من كل هذه الأمور، فهو يبعث على الطمأنينة وسكون القلب وقراره .

وكذلك ترتبط الطمأنينة بالتوبة عند الصوفية ، فالتوبة عندهم طمأنينة ، تقابل مافى المعصية من الانزعاج والقلق النفسى .

أما عن ارتباط الطمأنينة بالأحوال:

فقد اشار صوفية الإسلام إلى ارتباط الطمأنينة بواردات الأحوال ، وهى نفحات إلهية، واحوال سيكولوجية ترد على القلوب والارواح ، وتكون نتيجتها فرح القلب وسروره وثمرة هذه الواردات الإلهية فيما يرى الصوفية ، السكينة والطمأنينة والاستقرار والثبات النفسى .

وللقلب احوال فيما يرى صوفية الاسلام ، احدها الخوف والاضطراب والقلق النفسى من الوارد الذى يقلق ويزعج السالك ويجعله فى حالة من عدم الثبات والتوازن النفسى ، وذلك فى بداية الأحوال ، فإن الخائف إذا طال

عليه الخوف واشتد به، واراد الله عز وجل ان يريحه ويحمل عنه ، أنزل عليه السكينة ،واستراح قلبه الى الرجاء، واطمأن به ، وسكن لهيب خوفه.

والخوف يوجب هروبا الى الله ، وجمعية عليه وسكونا إليه ، فالخوف من الله يبعث على الطمأنينة والسكينة والمحبة .

وكذلك يكون البسط والقبض ، فهما حالان من الأحوال النفسية التى ترد على السالك ، وهما يرتبطان بالطمأنينة والثبات والتوازن النفسى ، فالبسط فرح يعترى القلوب والأوراح بسبب قرب شهود الله تعالى شهودا ذوقيا ، أما القبض فهو حزن وضيق يعترى القلب، اما بسبب فوات مرغوب ، او عدم حصول مطلوب، ويرى صوفية الإسلام أن السالك للطريق الصوفى إذا تمكن منه القبض والخوف وسكن تحت قهر الله تعالى ، اخرجه الله تعالى الى البسط كى لايحترق قلبه ويضطرب ويفقد ثباته وتوازنه النفسى .

وللبسط والقبض آداب عند صوفية الإسلام فمن آداب القبض ، الطمأنينة والسكون تحت اقدار الحق تعالى .

ومن آداب البسط ، كف الجوارح عن الطغيان وخاصة جارحة اللسان ، فإذا احس المريد بالبسط ، فعليه ان يلتزم الصمت ، وان يتحلى بالسكينة والطمأنينة والثبات والاستقرار النفسى .

ويذهب صوفية الإسلام الى انه لايقف على حدود الأدب فى البسط الا القليل وهم أهل الطمأنينة والتمكن ، لأنهم كالجبال الرواسى ، لايحركهم قبض ولابسط .

ويرتبط حال الحب بالطمأنينة والثبات النفسى عند صوفية الإسلام ، فعلى السالك للطريق الصوفى ، فى حال الحب أن يقتحم الأمور الصعاب حتى يصل الى مقام محبة الله تعالى ، وهذه الأمور الصعاب هى مجاهدة النفس بالتخلى عن الأخلاق والصفات المذمومة، والتحلى بما يضادها من الأخلاق المحمودة ، وأن يؤدى الرياضات الروحية العملية كالذكر ، والبعد عن الغفلة ، يقول ابن الفارض حول هذا المعنى شعرا .

أى من وافى حزيناً حزنها

سر ، لو روح سرى فى سراى

وفى كل الأمور ، فإ، صوفية الإسلام يحذرون مريديهم من الحب الإلهى ، وينصحونهم بخلو قلوبهم منه ، لأن الحب فى راحته تعب ، وفى تعبه راحة وطمأنينة واستقرار نفسى وحول هذا المعنى يقول ابن الفارض لمريده :

وأعش خالياً فالحب راحته عناء

فأوله سقم وآخره قتل

خامساً : أما عن ارتباط الطمأنينة بالمعرفة

فإن منهج المعرفة هو الكشف ، وهو ادراك وجدانى مباشر للاطلاع على ماوراء الحجب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية .

ويربط الصوفية بين الطمأنينة والكشف ، فيذهب الهروى مثلاً الى أن القلب يطمئن فى حال سيره الى الله تعالى ، ولايلتفت الى ماوراءه ، حتى يكتشف الحقيقة .

ويريد الصوفية بالكشف هنا (كشف العيان) القلبى عن الحقيقة الإلهية .

ويذهب صوفية الإسلام الى أنه قد يعترى السالك بعض الحجب التى تحجبه عن شهود الحقيقة المطلقة ، مثل حجاب الكبائر وحجاب الصغائر ، وحجاب الغفلة ، فينبغى على السالك مجاهدتها بكل الوسائل الممكنة ، فإذا لم يتم مجاهدتها ، فإن السالك لايستطيع ان يطمئن بالله تعالى ، ولايحدث له الاستقرار والثبات النفسى ولايجب على السالك فيما يرى الصوفية أن يفضل الفناء على البقاء ، بل إنه على العكس من ذلك ، يجب عليه أن يخرج من حال الفناء أو الجمع إلى الفرق أو البقاء ، لأن الذى يبقى فى حال الفناء لايستطيع ان يمارس الرياضات العملية والعبادات والطاعات ، فعلى السالك أن يعود إلى البقاء والتفرقة بعد

الفنـاء ، ليقـوم بـأداء اوامـر الشـريعة مـع الجمـع علـى اللـه تعالى، وبذلك يستقر السالك نفسيا ويطمئن ويتحقق بالمعرفـة الإلهية .

ويربـط صوفيـة الإسـلام بيـن الطمأنينـة وموضـوع المعرفة ، وهو الـذات الإلهيـة مـن حيـث صفاتهـا واسـمائها وافعالها ، فلما كان التمكن عند الصوفية يعلو الطمأنينة مـن حيث الاستقرار والثبـات النفسـى ، يقـول الهـروى "التمكـن فوق الطمأنينة ، وهو الإشارة الى غاية الاستقرار".

فعندمـا يتصـف السـالك بالصفـات الإلهيـة ، فـإن قلبـه يصير مطمئنا ومستقرا نفسيا ويربـط صوفيـة الإسـلام بيـن الطمأنينة واداة المعرفة ، وهى القلب عندهم ، فلما كان احد معانى الطمأنينة هى اليقين ، فإن الثبات النفسى يكـون بقـوة القلب وشدة اليقين ، ولايكـون ذلـك إلا لنفـاذ البصـيرة ، والتحقق بالمعرفة الإلهية .

ويذهـب صوفيـة الإسـلام إلـى أن القلـب إذا تقلـب بيـن الغفلة والحضور ، فإنه يسمى قلبـا. أمـا إذا اطمـأن واسـتقر نفسياً عن طريق الوصـول إلـى التحقـق بالمعرفـة الإلهيـة ، فإنه يكون قد تمكن ، والتمكن يعلو على الطمأنينة.

ثبت المراجع

ثبت المراجع

١- فى اللغة العربية .

٢- فى اللغة الأجنبية .

اولاً : المراجع فى اللغة العربية

١- ابن سبعين (عبد الحق) ، الرسائل ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، عام ١٩٦٥م .

٢- ابن عباد الرندى ، غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية ، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ، عام ١٣١٠هـ.

٣- ابن عجيبة الحسنى ، ايقاظ الهمم فى شرح الحكم ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة عام ١٩٨٣م .

٤- ابن عجيبة الحسنى ، الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، مطبعة عالم الفكر ، القاهرة عام ١٩٨٣ م .

٥- ابن عربى (محى الدين) ، اصطلاحات الصوفية ، الواردة فى آخر التعريفات للجرجانى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة عام ١٩٣٨م .

٦- ابن عربى (محى الدين) ، الفتوحات المكية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

٧- ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن ، المكتبة السعيدية ، القاهرة عام ١٩٧٣م .

٨- ابن علان (احمد ابراهيم)، شرح حكم أبى مدين ، نسخة خطيه بدار الكتب بالقاهرة، رقم ١٤٠٥ تصوف طلعت.

٩- ابن الفارض ، الديوان ، دار التراث ، بيروت ، لبنان ، عام ١١٢٣هـ

١٠- ابن قنفذ القسنطينى ، انس الفقير ، نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة ،رقم ٣٠٣مجاميع.

١١- ابن القيم ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، المطبعة السلفية ، القاهرة عام ١٤٠٠هـ

١٢- ابن القيم ، الروح - الاسكندرية عام ١٩٨١م .

١٣- ابن القيم، مدارج السالكين ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة عام ١٩٥٦ م .

١٤- ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ١٩٧٣م .

١٥- ابو حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة عام ١٩٥٦م.

١٦- ابو حامد الغزالى ، روضة الطالين ، مطبعة فرج الله ذكى الكردى ، القاهرة عام ١٣٤٤هـ.

١٧- ابو حامد الغزالى ،منهاج العارفين ، مطبعة فرج الله ذكى الكردى القاهرة عام ١٣٤٤هـ.

١٨- ابو حامد الغزالـى ، معـراج السـالكين ، مطبعـة فـرج الله ذكى الكردى ، القاهرة عام ١٣٤٤هـ.

١٩- ابـو طـالب المكـى ، قـوت القلـوب ، مكتبـة المتنبـى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٠- ابو عبد الرحمن السـلمى ، طبقـات الصوفيـة ، مكتبـة الخانجى ، القاهرة عام ١٩٨٦م.

٢١- ابو العلا عفيفى (الاستاذ الدكتور) ، التصـوف الثـورة الروحية فـى الاسـلام منشـأة المعـارف ، الاسـكندرية ، عام ١٩٦٣م .

٢٢- ابـو مديـن المغربـى ، انـس الوحيـد ، نسـخة خطيـة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٦٦٧تصوف .

٢٣- ابو مدين المغربى ، قصيـدة مـالذة العيـش الا صحبـة الفقـرا، نسـخة خطيـة رقـم ٢٨٧ تيمـور ، بـدار الكتـب بالقاهرة .

٢٤- ابـو نعيـم الاصفهـانى ، حليـة الأوليـاء ، دار الكتـاب العربى ،القاهرة عام ١٩٨٧م .

٢٥- ابـو نصـر السـراج الطوسـى ، اللمـع فـى التصـوف ، مكتبة المثنى ، بغداد عام ١٣٨٠هـ.

٢٦- ابو الوفا التفتـازانى (الاسـتاذ الدكتـور) ، ابـن سـبعين وفلسفته الصوفية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، عـام ١٩٧٢م .

٢٧- ابو الوفا التفتازانى (الاستاذ الدكتور) ، ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة عام ١٩٥٨م.

٢٨- ابو الوفا التفتازانى (الاستاذ الدكتور) ، مدخل الى التصوف الإسلامى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة عام ١٩٧٩م .

٢٩- ابو الوفا التفتازانى (الاستاذ الدكتور) ، الطريقة الاكبرية ، بالكتاب التذكارى لمحيى الدين بن عربى،الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة هام ١٩٦٩م.

٣٠- أحمد زروق الفاسى ، قرة العين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، عام ١٩٧٣م .

٣١- أحمد زروق الفاسى ، قواعد التصوف ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة عام ١٩٦٨م.

٣٢- أحمد ضياء الدين الكمشخانوى ، جامع الأصول ، القاهرة عام ١٣٢٨هـ.

٣٣- اسين بلاسيوس ، ابن عربى ، حياته ومذهبه ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، بيروت عام ١٩٧٩م.

٣٤- التهانوى (محمد على الفاروقى) ، كشاف اصطلاحات الفنون ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٩٧٢م.

٣٥- الجرجانى ، التعريفات ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ، عام ١٩٣٨.

٣٦- الحارث بن اسد المحاسبى ،القصد والرجوع الى الله، لجنة التراث العربى ، القاهرة عام ١٤٠٠هـ.

٣٧- الحارث بن اسد المحاسبى ، الرعاية لحقوق الله ، مكتبة المثنى ، بغداد عام ١٩٦٠م.

٣٨- السهروردى البغدادى ، عوارف المعارف ،مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ، عام ١٩٥٦م .

٣٩- الشعرانى (عبد الوهاب) ، الطبقات الكبرى ، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ، عام ١٣٤٣هـ.

٤٠- قاسم غنى ، تاريخ التصوف فى الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٧٠م.

٤١- القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) . الرسالة القشيرية ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة عام ١٩٥٩م.

٤٢- القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) لطائف الاشارات الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٧٠م .

٤٣- الكلاباذى ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة عام ١٩٦٩م .

٤٤-المحاسبى (الحارث بن اسد) . رسالة المسترشدين ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، القاهرة بدون تاريخ.

٤٥- محمد اسماعيل ابراهيم ، قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة عام ١٩٦١م .

٤٦- محيى الدين عبد الحميد طاهر (الدكتور) ، ابو مدين المغربى حياته وتصوفه ، رسالة دكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة .

٤٧- نيكلسون ، فى التصوف الإسلامى وتاريخه ، ترجمة الدكتور ابو العلا عفيفى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٦٩م.

٤٨- الهجويرى : كشف المحجوب ، دار التراث العربى ، القاهرة عام ١٩٧٤م

٤٩- يوسف مراد ، مبادئ علم النفس العام دار المعارف ، القاهرة عام ١٩٦٢م .

ثانياً : المراجع فى اللغة الانجليزية

1- Nicholson (R.) : The mystics of islam; London, 1935.

2- Stace (W.) : Mysticism and Phiolosophy ; London, 1961.

3- Undehill (E.) : Mysticism; a study in the nature and development of man's spiritual consciousness; London ; 1949.

ثالثاً: المراجع فى اللغة الفرنسية

4- J.M. Guyau : (Esquisse d'une Morale sans Obligation ni sanction); Paris; Alcan.

5- Max Scheler : "Nature et formes de la Sympathie" Payot, 1950.

6- Schopenhaver :"Le fondement métaphysique de la Morale"; Tard. Franç.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

اولاً

معنى مصطلح الطمأنينة

ثانياً

الطمأنينة ومجاهدة النفس اخلاقيا

الموضوع **الصفحة**

ثالثا

الطمأنينة والرياضات الروحية العملية

رابعاً

ارتباط الطمأنينة بالمقامات والأحوال

خامساً

الطمأنينة والمعرفة

الموضوع **الصفحة**